الجهود المبذولة في حجية السنة
في القرن الرابع عشر الهجري

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجهود المبذولة في حجية السنة
في القرن الرابع عشر الهجري

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن الحكيم، وأكمل الشرع القويم، وقال: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ [المائدة/ ٣].

والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، الذي اصطفاه الله تعالى، واختاره، وكلفه حمل الرسالة، وتبليغها، وبيانها، والدعوى إليها، فقال تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر ﴾ [المدثر/ ١-٢]، وقال تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليه من ربك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة/ ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل/ ٤٤].

وبعد:

فإن القرآن الكريم هو الأصل الأول في ا لدّين، والمصدر الأساسي للشرع والتشريع، ونص في آيات عدة على تكليف الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والبيان، فصدرت عنه السنة التي تعتبر الأصل الثاني بعد القرآن، والمصدر الثاني للأحكام، تبليغاً عن الله تعالى القائل: ﴿ وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم/ ٣-٤] .

والسنة لغة: الطريقة، وفي اصطلاح علماء الأصول: "ماصدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[(١)]، وتتضمن الأحكام الشرعية بالأقوال الصادرة عن رسول الله ﷺ أو بالأفعال المبينة للتطبيق والتنفيذ العملي للأحكام، أو بالتقرير لما يصدر عن الصحابة أمامه من أقوال وأفعال تتفق مع دين الله وشرعه، فيقرهم عليها، فتصبح كأنها صادرة عن رسول الله ﷺ، وكل ذلك قياماً بواجب التبليغ والبيان، فكانت السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

وتكفل الله تعالى بحفظ دينه، لبقاء الإسلام حتى تقوم الساعة، فقال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر/٩]، والذكر يشمل القرآن والسنة، فحفظ الله كتابه، وسخر العلماء لحفظ سنته في الصحاح والسنن والمسانيد والمستخرجات والمستدركات وغيرها.

ولكن الكفار والمشركين والمنافقين وقفوا في وجه الإسلام، وصوّبوا سهامهم لمصادره، وشمروا سواعدهم للطعن به بدءاً من كتابه المقدس، ورسوله المعظم، وسنته الشريفة، منذ أول البعثة، وطوال التاريخ، وحتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة، وهذا يمثل الصراع الأبدي والدائم بين الخير والشر والإيمان والكفر، والحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولم تسلم السنة النبوية من ذلك، فاتجه إليها الأعداء، والمنافقون، والجاهلون، والحاقدون، ونالوا منها بالطعن، والتشكيك، بل والإنكار والجحود، وكانت أحد الحصون التي توجه إليها أعداء الله، وخاصة عندما يئسوا من النيل والتحريف والتبديل لكتاب الله تعالى، فاتجهوا إلى السنة ليمحوا أثرها ووجودها وحجيتها، ليبقى القرآن مجملاً وعاماً ومبهماً لعلّهم يعبثوا به ، فيضيع الإسلام، وتنقرض مصادره وينابيعه، وكان الله تعالى لهم بالمرصاد ليردّ كيدهم، وسخّر العلماء لحفظ السنة رواية ودراية، لتبقى شامخة كالجبال، وتبقى مصدراً عذباً فياضاً طاهراً سلسبيلاً تروي المسلمين، وتمدهم بالبيان الحقيقي الصحيح لتطبيق الإسلام وفهم القرآن.

---

(١) المستصفى للغزالي ١٣١/١، شرح الكوكب المنير للفتوحي ١٦١/٢، ١٦٥، الإحكام للآمدي ١٦٥/١، الموافقات للشاطبي ٢٤/٤، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٤٢، الحدود في الأصول للباجي ص ٥٧، السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٥، المدخل لابن بدران ص ٨٩، تسهيل الوصول للمحلاوي ص ١٣٩، أصول الحديث للأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب ص ١٩، أصول الفقه، للشيخ محمد أبو النور زهير ١٠٨/٣، الوجيز في أصول الفقه، لنا ١٨٥/.

ومن هنا ظهر الاصطلاح الأصولي **حجية السنة** لبيان مكانتها في التشريع، وشمر العلماء سواعدهم لذلك طوال التاريخ، وخاصة عندما أشعلت نار الحرب، وتوجهت السهام إلى السنة في العصور الأخيرة على يد بعض المستشرقين، ثم ردّد شبهاتهم وأباطيلهم أذنابهم وأتباعهم وأعوانهم في ديار الإسلام، فكان علماء الأمة لهم بالمرصاد، فكتبوا عن **حجية السنة في القرن الرابع عشر الهجري،** بأسلوب محكم لتأكيد مكانة السنة وحجيتها، حتى بقيت صامدة كالشمّ الرواسي، وبقيت الأمة ملتزمة بكتاب ربها، وسنة نبيها، وشريعتها السمحة، لتبقى الراية مرفوعة، والأمانة لدين الله ورسالته محفوظة مؤداة، ليبلغها الجيل الحاضر سليمة صافية للأجيال القادمة، وترتد سهام الحاقدين إلى نحورهم، ليظفروا بالخزي والعار والشنار، وتبقى الحقيقة شامخة، والحق مرفوعاً، ودين الله محفوظاً، والواقع أبلجاً.

وإسهاماً في هذه الأعمال المجيدة، أردت دراسة **الجهود المبذولة في حجية السنة في القرن الرابع عشر الهجري** بصفة عامة، وتقديم دراسة عن أهم الكتب التي ظهرت في هذا الخصوص، وهو أطروحة الدكتوراه للداعية المجاهد العلامة الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي بعنوان " السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" التي نال بها المؤلف رحمة الله تعالى وأسبغ عليه شآبيب رحمته شهادة العالمية من درجة أستاذ برتبة امتياز من كلية الشريعة بالجامع الأزهر عام١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: دراسة عامة، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: حجية السنة.

المبحث الثاني: عرض للدراسات المبذولة عن حجية الناس في القرن الرابع عشر الهجري.

الفصل الثاني: دراسة خاصة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن العالم الداعية المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: دراسة وتقويم لكتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

الخاتمة : نتائج البحث والتوصيات.

وسوف التزم المنهج الموضوعي في المبحث الأول من الفصل الأول، والمنهج الاستقرائي في المبحث الثاني، والمنهج التاريخي في المبحث الأول من الفصل الثاني، والمنهج النقدي والتحليلي في المبحث الثاني منه.

وأسأل الله التوفيق والسداد، وعليه الاعتماد والتكلان، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
الدراسة العامة عن حجية السنة
وبيان الجهود المباركة التي بذلت فيها في القرن
الرابع عشر الهجري، وذلك في مبحثين:

المبحث الأول
حجية السنة

اتفق العلماء على أن السنة الصحيحة الثابتة التي صدرت عن رسول الله ﷺ بقصد التشريع والاقتداء – حجة على المسلمين، ومصدر تشريعي لهم، متى ثبتت بسند صحيح، إما بطريق القطع، أو غلبة الظن.

واستدلوا على ذلك بأدلة جازمة قطعية كثيرة واضحة بيّنة لا تدخل تحت الحصر، وصار عندهم يقين جازم بأنه لا فرق بين حكم ثبت بالكتاب الكريم وحكم ثبت بالسنة النبوية، وهذه الأدلة من القرآن الكريم، وإجماع الصحابة، والمعقول، ويجمعها ثبوت العصمة للنبي ﷺ المصطفى، والمرسل، والمبلّغ، والمبيِّن عن ربه سبحانه وتعالى(١)، فمن ذلك:

أولاً: حجية السنة من القرآن الكريم:

استدل العلماء على حجية السنة بنصوص كثيرة من القرآن الكريم، وذلك من عدة وجوه، أهمها مايلي:

١- أحال القرآن الكريم إلى السنة بعبارة صريحة، حيث طلب الله تعالى من رسوله أن يبيّن للناس ما أنزل الله إليهم من أحكام القرآن الكريم، فقال عز وجل: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُـزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل/ ٤٤]، فأصبح بيان رسول الله ﷺ حجة بتكليف الله تعالى، وتفويض منه.

٢- أمر الله تعالى بطاعة رسوله، والطاعة تفيد الالتزام بأمر المطاع وتنفيذ طلباته(٢)، قال الله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الرسول، لعلكم ترحمون ﴾ [النور/ ٥٦]، فأصبح ما يصدر عن رسول الله ﷺ واجب التطبيق.

٣- ربط الله تعالى محبته باتباع رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم ﴾ [آل عمران/ ٣١].

قال الآمدي –رحمه الله تعالى-: " ومحبة الله واجبة، والآية دلت على أن متابعة النبي عليه الصلاة والسلام لازمة لمحبة الله الواجبة " (٣)، فتجب المتابعة على أمر مشروع من الله سبحانه وتعالى ويصبح حجة لازمة.

٤- قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء/ ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ [الأنفال/ ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ [آل عمران/ ٣٢]، وجعل الله تعالى طاعة الرسول طاعة له، فقال تعالى: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء/ ٨٠].

فهذه الآيات الكريمة – وغيرها – تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى يوجب اتباع رسوله فيما شرع، وأن الالتزام بطاعة الرسول كالالتزام بطاعة الله، وأن تنفيذ أقوال الرسول وأوامره كتنفيذ أقوال الله وأوامره، والانتهاء عما نهى عنه، وأن الآية الثانية هددت ونهت وحذرت من التولي عن طاعته أو معصيته.(٤)

٥- أمر الله تعالى برد الحكم إلى الله والرسول عند التنازع والاختلاف، فقال تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النساء/ ٥٩]، وهذا

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير ١٦٧/٢.
(٢) الرسالة، للإمام الشافعي ص٣٣.
(٣) الإحكام في أصول الأحكام، له، ١٦١/١.
(٤) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي ٨٧/١.

دليل على وجوب الرجوع إلى حكم الله تعالى الوارد في القرآن الكريم، وإلى حكم الله تعالى الثابت في السنة الشريفة، فهذا دليل قطعي على حجيتها على المسلمين للالتزام بها.[1]

٦- وصف القرآن الكريم رسول الله ﷺ بصفات المشرع، فقال تعالى عن رسوله: ﴿ يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف/ ١٥٧]، فهذه الآية صريحة الدلالة في أن **أوامر رسول الله ونواهيه شرع للمسلم**، بل وصفه الله تعالى **بالعصمة في التشريع**، أي بعدم الخطأ فيما يقوله من الأحكام، فقال تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم/ ٣-٤].

٧- نبّه القرآن الكريم إلى مكانة الرسول التشريعية، وحذر من مخالفة أمره، ثم هدّد بالفتنة والعذاب لمن يخالف أمره، قال تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً، **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً**، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور/ ٦٣]، وهذا يدل على وجوب اتباعه والاقتداء به والالتزام بما يصدر عنه.[2]

٨- أمر القرآن الكريم الأمة بالأخذ بما جاء به رسول الله ﷺ والنهي عما نهاهم عنه، فقال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر/ ٧]، وهذا نص صريح بحجية أوامره ونواهيه الواردة في السنة الشريفة.

٩- نص القرآن الكريم أن الله تعالى أعطى نبيه محمداً ﷺ الكتاب والحكمة في آيات كثيرة[3]، فقال تعالى: ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [آل عمران/ ١٦٤]، وقال الله تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [الجمعة/ ٢].

قال العلماء: **الحكمة: هي السنة**[4]، مما يدل على أن الله تعالى أوحاها إليه، وأنزل معناها عليه، وطلب منه بيانها للناس، وتلاوتها عليهم، وتعليمها لهم ليعملوا بها ويسيروا على هديها، ويلتزموا بها كالقرآن الكريم.

١٠- نص القرآن الكريم على وجوب الرضا بقضاء رسول الله ﷺ وأن حكمه ملزم للمسلمين حتى في أمورهم الخاصة، وليس لهم خيار أمامه، فقال تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب/ ٣٦]، وكان للآية سبب خاص فالتزم به الصحابة رضوان الله عليهم، وتكرر الأمر في حياته ﷺ، ووقف الصحابة عند قضائه دون أن يحيدوا عليه قيد أنملة[5]، مما يؤكد دلالة الآية، ووجوب العمل بها والالتزام فيها، ثم تأكد ذلك بما يلي.

١١- نفى القرآن الكريم الإيمان عمن يرفض المثول لقضاء رسول الله ﷺ، أو يسخط عليه، ولا يستسلم له، أو لا يقبله، فقال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً ﴾ [النساء/ ٦٥]، ووصم الله تعالى من يصد ويعرض عن الرسول ﷺ أنه منافق[6]، فقال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ [النساء/ ٦١].

١٢- بين القرآن الكريم أن من صفات الرسل عامة وجوب طاعتهم من الأمة التي أرسلوا إليها، فقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [النساء/ ٦٤]، ونص على ذلك في شأن كل رسول خاصة، فقال تعالى: ﴿ إني رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [الشعراء/ ١٠٨]، ومحمد ﷺ رسول أمين، وهو أحد الرسل الذين يجب طاعتهم.

١٣- خاطب القرآن الكريم الأمة واعظاً ومرشداً **بأنه جعل لهم رسول الله أسوة وقدوة** لمن يبتغي تطبيق شرعه، ويطمع في رضوان الله، فقال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [الأحزاب/ ٢١]، والقدوة يجب اتباعها، والأسوة يجب السير على هداها، وخاصة إذا كانت نبياً مصطفى، ورسولاً مجتبىً، ومن أولي العزم، وأفضل خلق الله تعالى.

---

(١) الرسالة ص٧٩، الإحكام، لابن حزم ٨٨/١، ٨٧.
(٢) الإحكام للآمدي ١٦١/١.
(٣) انظر تفصيل ذلك في الرسالة ص٧٦ للإمام الشافعي رحمه الله تعالى الذي بيّن مكانة السنة وحجيتها، وفند شبه المنحرفين والمتشككين فيها بأسلوب رائع بديع لم يسبق إليه حتى سمي بناصر السنة.
(٤) الرسالة ص٣٢، ٧٨، جماع العلم، للإمام الشافعي على هامش الأم ٢٥٠/٧.
(٥) أسباب النزول للسيوطي ص٢٩٩- ٣٠٠ تحقيق الدكتور بديع السيد اللحام، تفسير ابن كثير ٤٨٩/٣، طبع عيسى الحلبي، بلا. ت، محاسن التأويل، للقاسمي ٤٨٦٠/١٣، التفسير المنير ٢٦/٢٢.
(٦) الإحكام لابن حزم ٩١/١.

هذه النصوص القرآنية –وغيرها كثير- برهان ودليل قاطع على حجية السنة، واعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وأن الأحكام الواردة في السنة الصحيحة تشريع إلهي واجب الاتباع.[١]

ثانياً : إجماع الصحابة :

أجمع صحابة رسول الله ﷺ في حياته، وبعد وفاته على **وجوب اتباع سنته والعمل بها والالتزام بما ورد فيها من أحكام، وتنفيذ ما فيها من أوامر، والانتهاء عما فيها من نواه.**

وكان الصحابة رضوان الله عليهم لا يفرقون بين الأحكام المنزلة في القرآن الكريم والأحكام الصادرة عن رسول الله ﷺ، ولذلك قال معاذ ﷺ: " إن لم أجد في كتاب الله قضيت بسنة رسول الله ﷺ " [٢]، بل كان الصحابة رضوان الله عليهم يتوقفون في مفهوم كتاب الله حتى يسألوا رسول الله ﷺ عن مراد الله، وبيان مجمل القرآن الكريم، وتوضيح معناه، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتأكيد أوامره، والأمثلة كثيرة في حياته، وبعد وفاته، وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن عباس وابن مسعود وزيداً ومعاذاً وغيرهم من الصحابة، كانوا إذا أعوزهم أمر، أو نزل بهم حادث، أو وقعت بينهم قضية، أو تعرضوا لقضاء أو فتوى، بحثوا عن الحكم في القرآن الكريم، فإن لم يجدوا فيه، بحثوا عن ذلك في السنة، ويمموا وجوههم للبحث عن الحديث، وسأل بعضهم بعضاً عمن يحفظ عن رسول ﷺ في ذلك شيئاً، وقد تعددت الأحوال[٣]، ولم يستنكر واحد منهم ذلك، وسار على هذا المنوال التابعون، وأجمع عليه العلماء من بعدهم حتى يومنا هذا.[٤]

فدلّ عمل الصحابة وإجماعهم، وإجماع التابعين، وإجماع علماء الأمة، على أن **السنة حجة كاملة**، ومصدر تشريعي واجب الاتباع متى صح نقلها عن رسول الله ﷺ.

ثالثاً : المعقول :

ثبتت حجية السنة عقلاً من عدة وجوه، أهمها:

١. إن القرآن الكريم فرض على الناس **فرائض مجملة** كالصلاة، وشرع لهم **أحكاماً عامة** كالشورى، وأخبرهم عن **واجبات كثيرة** كبر الوالدين وطاعة أولي الأمر، ولم يبين القرآن الكريم تفصيل هذه الفرائض والأحكام والواجبات، ويستحيل عقلاً استنباط ذلك وكيفيته إذا أراد المكلف المخاطب بالقرآن الكريم أن يؤدي هذه الفرائض، وينفذ تلك الأحكام، ويرضي ربه بالواجبات، كقوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾، وغير ذلك كثير وكثير، فجاء رسول الله ﷺ فبين هذا الإجمال بالسنة القولية والعملية، لما منحه الله تعالى من سلطة البيان الذي هو تكليف إلهي له، فقال تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل/ ٤٤]، فيوجب العقل المجرد الرجوع للسنة والاحتجاج بها، وإلا جمد، ووقف حائراً مرتبكاً أمام تطبيق القرآن الكريم.
٢. كان رسول الله ﷺ **ترجمة عملية للقرآن الكريم**، وكانت أعماله وأفعاله صورة حية للأحكام الواردة في كتاب الله تعالى، وكانت أوصافه وأخلاقه تنفيذاً واقعياً لأوامر الله تعالى، وقد سئلت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: **" وكان خُلُقه القرآن "** [٥]، وكان رسول الله ﷺ يتمثل كلام ربه، ويلتزم رضاه، ويسير على الصراط المستقيم، بل كان أول من ينفذ أحكامه، وخير من يطبق كتابه، فكانت سنته وسيرته تطبيقاً عملياً لأحكام القرآن الكريم، وبياناً واقعياً للناس عن صورة الإسلام الصحيحة الكاملة.[٦]

---

(١) علم أصول الفقه، خلاف ص٣٩، وقد توسعنا بالاستدلال بنصوص القرآن الكريم ليكون بين يدي المسلم، وغير المسلم، مجموعة من المعاني الواضحة القاطعة للرد على الشبهة التي يثيرها بعض الملحدين والحاقدين في دعوى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم والاحتكام إليه فقط، ويكفي في الاستدلال وإقامة الحجة دليل واحد، أو آية واحدة، ولكن أردنا أن يزداد المؤمن إيماناً، ويستيقن الذين أوتو الكتاب والمؤمنون، أما الجاحد المنكر فهو مجرد معاند، ولن ينفعه شيء حتى لو رأى الحق بأم عينيه.

(٢) هذا الحديث أخرجه أبو داود (١٧٢/٢)، والترمذي (٥٥٧/٤)، وأحمد (٢٤٢/٥، ٢٣٦، ٢٣٠) والدارمي (٦٠/١)، والبيهقي (١١٤/١)، وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٦٩/٢)، طبقات ابن سعد (٢٤٧/٢)، جامع الأصول (٥٥١/١٠)، أعلام الموقعين (٢٢١/١)، أخبار القضاة لوكيع (٩٨/١)، التلخيص الحبير (١٨٢/٤).

(٣) انظر كتابنا: تاريخ القضاء في الإسلام، بحث مصادر القضاء ص١١٧ وما بعدها، طبع دار الفكر – دمشق – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السباعي ص٤١٢.

(٤) انظر: إرشاد الفحول، للشوكاني ص٣٦.

(٥) هذا الحديث رواه مسلم (٢٦/٦)، وأبو داود (٤٠٠/٢)، وأحمد (١٨٨/٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) انظر: فقه السيرة، للشيخ الداعية محمد الغزالي ص٣٦.

فلا جرم أن تكون أقواله وأفعاله وكل ما يصدر عنه موافقاً لحكم الله تعالى، وأن تكون بالنسبة للمسلمين مصدراً رئيسياً لمعرفة الأحكام الشرعية نصاً واجتهاداً واستنباطاً واستدلالاً، وهذا ما يقتضيه العقل السليم، والفكر القويم.

٣. إن وظيفة رسول الله ﷺ أن **يبلغ للناس** كتاب الله تعالى، ثم **يبينه لهم** فبلغ القرآن الكريم بنصه وحرفه، ونقله عن جبريل إلى أمته، أما البيان فهو بالأقوال والأفعال التي صدرت عن رسول الله، وهي السنة، وقد ثبتت عصمة الرسول ﷺ في الأمرين معاً، وتكفل الله تعالى أن **يحفظ الذكر**، والقرآن الكريم لا يحفظ حقيقة إلا بحفظ بيانه، وهو السنة، فيوجب العقل أن تكون السنة حجة واجبة الاتباع والتطبيق، ودل ذلك على أن السنة بأقسامها الثلاثة (القولية والفعلية والتقريرية) واجبة الاتباع متى صح صدورها عن رسول الله ﷺ، وأنها حكم شرعي واجب التنفيذ، ومصدر تشريعي للأمة في استنباط الأحكام.(١)

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: " وقول رسول الله ﷺ **حجة لدلالة المعجزة على صدقه**، ولأمر الله تعالى إيّانا باتباعه، ولأنه لا ينطق عن الهوى ".(٢)

وإن القرآن الكريم والشريعة جاءتنا عن طريق رسول الله ﷺ، وهو **المبلّغ** عن ربه، وهو **المبيّن** لكتاب الله، وهو **المكلف الأول** عن التطبيق والتنفيذ، فكان لزاماً على المسلمين اتباع أوامره، ونواهيه وسائر سننه وبيانه وتطبيقه بموجب العقل.

فرع أول : حجية السنة من السنة :

بعد أن ثبتت حجية السنة بنصوص القرآن الكريم، وإجماع الصحابة، وإجماع المسلمين، والمعقول، نورد بعض الأدلة من السنة للاستئناس على حجيتها والاعتماد عليها(٣)، وأن رسول الله ﷺ أكد هذه الحجية بأقواله وأفعاله وأحاديثه وسننه، فقال عليه الصلاة والسلام: " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي " (٤)، وقال ﷺ: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه "(٥)، وهذا المثل هو السنة(٦)، وقد أوتيها من الله تعالى الذي آتاه القرآن الكريم، وعندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قال له: " كيف تقضي إ ن عرض لك قضاء؟ " قال: أقضي بكتاب الله، قال: " فإن لم يكن في كتاب الله ؟ " قال: فبسنة رسول الله، قال: " فإن لم يكن بسنة رسول الله ؟ " قال : أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ على صدره، وقال: " الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله ورسوله ".(٧)

فرع ثان : شبه إنكار السنة :

عندما ضاق الكفار بالإسلام، ونفذ صبر أعداء الله عن تحمل انتصار الاسلام وثباته وانتشاره، وخلت عقولهم وأيديهم عن معارضة القرآن الكريم والطعن به، لجؤوا إلى الهدم عن طريق السنة، وسلطوا شكوكهم على الحديث، ووجهوا سهامهم على حجية السنة، وتعرضت السنة للإنكار في القرن الثاني الهجري من بعض الفرق الضالة المارقة من الدين، واحتجوا بشبه واهية ضعيفة، وحاولوا الاعتماد على بعض الآيات القرآنية لتأويلها حسب هواهم، و تحميلها ما لا تحتمل، مثل قوله تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام/ ٣٨] ، و قوله تعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ [النمل/ ٨٩]، و قالوا: لا حاجة للسنة، لأن القرآن بيّن كل شيء، ولم يفرط في أمر من الأمور، وبالتالي فلا حاجة للسنة ولا حجية لها، و ليست مصدراً تشريعياً للأحكام(٨)، وأضافوا إلى حجتهم الحديث الذي ينكر

---

(١) قال اسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: " من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم ردّه بغير تقية (اجتهاد) فهو كافر " وأيد ابن حزم رحمه الله تعالى كلام إسحاق في الكفر، انظر: الإحكام، ابن حزم ٨٩/١.

(٢) المستصفى، له ١٢٩/١.

(٣) هذه الأدلة لمجرد الاستئناس، وليست لإقامة الحجة، لأنه لا يصح أن نحتج على الشيء بنفسه، فنقول السنة حجة لما ثبت في السنة.

(٤) هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢١٨/١.

(٥) هذا الحديث رواه أبو داود (٥٠٥/٣)، وأحمد (٣٣١/٤)، والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن معد يكرب ﷺ، وانظر: معالم السنن للخطابي ٧/٧.

(٦) روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: وكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك، تفسير القرطبي ٣٩/١.

(٧) هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد والدارمي والبيهقي، وسبق بيانه.

(٨) جماع العلم للإمام الشافعي، مطبوع مع الأم ٢٥٠/٧، المدخل إلى مذهب أحمد ص٩٠، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي ص٢٤٨، الموافقات ١١/٤، أصول السرخسي ٢٨٣/١، ومما قاله الشافعي رحمه الله تعالى، " إن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة، إذ عولوا على ما بينت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزله الله ".

استقلال السنة بالتشريع، وأن ما ورد فيها يجب عرضه على كتاب الله، فان لم يوجد في القرآن فيجب ردّه، ونسبوا الحديث الى ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب لله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله ".

و يرد على هذه الفئة بما يلي:

١. إن الآيات السابقة في **حجية السنة ترد مزاعمهم، وتبطل حججهم، وتفند أدلتهم**، وهي نصوص صريحة واضحة في حجية السنة واعتبارها مصدراً تشريعياً في الأحكام.
٢. إن الآيتين الكريمتين اللتين استندوا إليهما لا تدلان على هذا الفهم، وإن القرآن تبيان لكل شيء بما ورد فيه من أحكام و بما أشار إليه من مصادر، وبما تضمنه من قواعد عامة، وأحكام مجملة بينتها السنة.
٣. **أما حديث ثوبان فهو موضوع**، وضعته الزنادقة، كما قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى وعبدالله بن مهدي رحمه الله تعالى(١)، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: ما رواه أحد عمن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وهذا الحديث نفسه إذا عرض على كتاب الله فإنه يخالفه (٢) في قوله تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر/ ٧]، وقوله: ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء/ ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [عمران/ ٣١].
٤. يقول رسو ل الله ﷺ: " يوشك أن يقعد الرجل متكئاً، يحدث الناس بحديث من حديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله.(٣)
٥. قال رسول الله ﷺ: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا.. " الحديث.(٤)

ولا تزال السنة تتعرض لهجمات الملحدين والمستشرقين والمارقين من الدّين الذين يسعون لهدم الاسلام عن طريق السنة متناً وسنداً (٥)، ولكن الله تعالى سخر الأئمة والعلماء والمخلصين لرد كيد الكائدين، وتزييف دعواهم، وصيانة السنة من كل دخيل، و بقيت السنة -وستبقى- خالصة من كل شائبة، نقية من كل تحريف(٦)، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر /٩٠].

المبحث الثاني

عرض للدراسات المبذولة عن حجية السنة في القرن الرابع عشر الهجري

لقيت السنة النبوية طوال التاريخ الإسلامي عناية فائقة تتناسب مع أهميتها ومكانتها ومنزلتها في الإسلام، وعند المسلمين.

وحظيت السنة النبوية بعناية خاصة في القرن الرابع عشر الهجري في جميع المجالات، والتخصصات وعلوم الحديث ، لأسباب كثيرة، أهمها ثلاثة :

١- **الصحوة العلمية الإسلامية المباركة**، وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، لاستيقاظ المسلمين من غفوتهم، وخروجهم من تحت الاحتلال، ونير الاستعمار، وفتح كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة، وإنشاء الجامعات الإسلامية، والمعاهد الدينية، والمدارس الشرعية.

٢- **الهجمة الشرسة من معظم المستشرقين على الإسلام والمسلمين عامة، وعلى السنة خاصة**، وذلك طوال القرون الثلاثة الأخيرة، ثم نشرت، وترجمت، ونقلت للمسلمين، ودرست لهم إما في البلاد الغربية التي قصدها المسلمون، وإما في البلاد الإسلامية ذاتها التي غزاها الفكر الغربي

(١) السنة ومكانتها في اتشريع الإسلامي ص٩٩.
(٢) إرشاد الفحول ص٣٣، المدخل إلى مذهب أحمد ص٩٠.
(٣) هذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم عن المقداد بن معد يكرب.
(٤) هذا الحديث أخرجه مسلم ١٩٧/١٧.
(٥) انظر كتاب السنة ومكانتها في التشريع، للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، وكتاب السنة قبل التدوين، للأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب.
وسأل ضمام بن ثعلبة رسول الله عن الصلاة والزكاة والصوم والحج، وكان يقول له: آلله أمرك بهذا؟ فيقول: " نعم" رواه البخاري ومسلم، والبيهقي ٣٢٥/٤، وانظر: المجموع النووي ٧٥/٧.
(٦) من ذلك كتاب "أضواء على السنة المحمدية" للشيخ محمود أبو رية، ورد العلماء عليه بكثرة وإسهاب، وأهم الردود كتاب "ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية" للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، وكتاب "الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنة، من الزلل والتضليل والمجازفة " للعالم المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، والكتب الثلاثة مطبوعة بمصر، الأول بدون تاريخ، والثاني بالمطبعة السلفية -١٣٧٩هـ، والثالث بالمطبعة السلفية ١٣٧٨هـ.

الاستعماري، أو فتحت أبوابها أمام الغربيين والمستغربين في الجامعات والمستشفيات والمعاهد والمؤسسات والوزارات، فدسّوا السمّ في عقل الفكر الإسلامي المستغرب، وشاع ذلك وانتشر – وللأسف – في ديار الإسلام والمسلمين، وخاصة في القرن الرابع عشر الهجري عن طريق الإعلام والغزو الفكري، مما دعا العلماء والدعاة والمصلحين والغيورين على دينهم وفكرهم من مختلف الاختصاصات للوقوف في وجههم، والرد عليهم، وكشف أباطيلهم، وإثبات حجية السنة ومكانتها.

٣- **التقنية العلمية المعاصرة** في المطابع والكتب والأشرطة والأقراص المرنة والإنترنت، مما فتح المجال لطباعة كتب السنة ونشرها، وخزنها، واختزانها، ووضعها في الأقراص الممغنطة (السيديات) وظهرت دراسات جمة في خدمة السنة النبوية عامة، وفي حجيتها خاصة.

وكانت الجهود المبذولة في حجية السنة في القرن الرابع عشر على مستويات متعددة، وبأساليب مختلفة، وضمن دراسات متنوعة، نعرض جانباً منها في هذا المبحث.

قال الشافعي: " أجمع العلماء أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد "، كما نقل عنه " إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط ".

أولاً – دراسات عامة :

تضمن كثير من الدراسات الإسلامية المعاصرة موضوع السنة النبوية عامة، وحجيتها ومكانتها خاصة، ونذكر نماذج وأمثلة لها، منها :

١- **أهداف التشريع الإسلامي:** للدكتور محمد حسن أبو يحيى، عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية - دار الفرقان – عمان – ط١ – ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م (٧٤٠ صفحة)، القسم الأول: مصادر التشريع الإسلامي، الفصل الثاني: السنة النبوية (ص ٥٩ – ٧٠) التعريف بالسنة، حجية السنة، أقسام السنة، منزلة السنة من القرآن الكريم.

٢- **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد**، دكتور أحمد نحراوي عبد السلام الإندونيسي. بلا، دار نشر، ط١ – ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م (٧٤٤ صفحة)، أصول الإمام الشافعي، السنة (٢٤١-٢٣٢).

ثانياً – بحوث عن السنة عامة، فيها حجية السنة:

١- **السنة النبوية الشريفة، حقيقتها ومكانتها عند المسلمين**، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، سلسلة بين الأصالة والمعاصرة رقم ٣١، نشر دار المكتبي – دمشق ط١ – ١٤١٨ هـ ـ /١٩٩٧ م (٤٨ صفحة)، ويتضمن العناوين التالية: حقيقة السنة، أنواعها، مكانة السنة أو حجيتها عند المسلمين، أدلة حجيتها من القرآن والسنة، الحاجة المتعينة إلى السنة، السنة وحي أو في حكم الوحي، عصمة النبي ﷺ للإلزام بالسنة في عصر النبي ﷺ، سنة الصحابة، سنة آل البيت.

٢- **فقه السنة النبوية**، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، سلسلة بين الأصالة والمعاصرة رقم ٣٢، نشر دار المكتبي – دمشق – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ /١٩٩٧ م (٤٨ صفحة)، ويتضمن أفعال الرسول ﷺ عند أصولي الحنفية، التعارض بين الفعلين، أحاديث الأحكام والأسس التي تراعى في تحليلها، القواعد المرعية في فهم الحديث وتحليله، قواعد فقه الحديث، منزلة السنة بالنسبة للقرآن الكريم، نوع الحكم المستفاد من السنة، شروط العمل بخبر الآحاد عند الحنفية، الزيادة على النصّ.

٣- **صيحة مزيفة: لا داعي للسنة النبوية، رد على هذه الشبهة**، إعداد محمد هاني الشعال (دبلوم في الفقه المقارن)، دار أفنان – دمشق – ٢٠٠١ م (٤٦ صفحة من الحجم الصغير)، وبدأ الباحث بمقدمة (ص٣) ثم كلمة للعالم محمد أسد (ص٧) ثم معنى السنة (ص٨) والسنة مصدر تشريعي مستقل (ص١٠) ومعنى حجية السنة (ص ١٢) وحجية السنة ضرورة دينية (ص١٥) وبعض شبهات منكري حجية السنة والرد عليها (ص٢٦) والسنة وحجية خبر الآحاد (ص٣٣) وبعض شبهات منكري حجية خبر الآحاد والرد عليهم (ص ٣٧) والخاتمة (ص٤٠) ثم المصادر والمراجع والفهرس، وهو بحث متواضع، وفيه تتبع واستفادة من الكتب والمصادر.

٤- **دفاع عن السنة النبوية الشريفة**، الدكتورة عزيّة علي طه، دار القلم – الكويت – ط ١- ١٤١٠ هـ ـ /١٩٩٠م (١٥٨ صفحة) من الحجم الوسط، ويتضمن البحث ما يلي: من الأخطاء الشائعة حول أحاديث الآحاد، وجهود المحدثين في تأويل مختلف الحديث، وصور من افتراءات المستشرقين على السنة النبوية، من افتراءات المستشرقين حول الرحلة في طلب الحديث، صور من افتراءات

المستشرقين حول موطأ الإمام مالك، والإمام الزهري، والإمام الشافعي، ومسند أحمد، ومسند أبي داود، والإمام مسلم.

ثالثاً – كتب أصول الفقه:

لا يوجد كتاب كامل في علم أصول الفقه، صنف في القرن الرابع عشر الهجري، إلا وتعرض لبحث السنة النبوية، باعتبارها أحد مصادر الفقه الإسلامي، وأن المصادر أو الأدلة أحد الأبواب الخمسة الرئيسية لعلم أصول الفقه[١]، ولذلك فلا يمكن لكتاب أصولي عرض علم أصول الفقه كاملاً إلا وبحث السنة إما بحثاً موسعاً مستفيضاً بما يزيد عن خمسين صفحة، وإما بحثاً موجزاً مختصراً من ثلاث صفحات إلى خمسين صفحة، لبيان تعريف السنة، وأقسامها، وحجيتها، وتقسيماتها من حيث السند، ومكانتها في التشريع ، سواء من حيث المنزلة، والدرجة، ومراتبها بالنسبة للقرآن الكريم تأكيداً، وبياناً، وإضافة، ونسخاً، بالإضافة إلى الكتب المصنفة في مصادر التشريع خاصة في القرن الرابع عشر الهجري.

ولا يمكن الإحاطة بجميع الكتب المصنفة في علم أصول الفقه في القرن الرابع عشر الهجري[٢]، وإنما نكتفي بأهمها مع تحديد الصفحات والعناوين التي عرضت فيها، فمن ذلك:

١- **أصول الفقه**، الشيخ محمد الخضري، دار الحديث – القاهرة – بلا .ت، السنة (ص ٢٥٠ – ٢٨٤) التعريف والسند، حجية السنة، التعبد بخبر الآحاد، نسبة السنة إلى الكتاب، ورتبة السنة متأخرة عن رتبة الكتاب في الاعتبار، السنة راجعة في معناها إلى الكتاب.

٢- **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي**، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، عميد كلية الشريعة، جامعة الشارقة – دار الخير – دمشق – ط١ – الجزء الأول ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣ م (٥٤٦ صفحة) الجزء الثاني : ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤ م، (٤٧٩ صفحة)، الباب الأول في مصادر التشريع الإسلامي، المبحث الثاني: في السنة الشريفة (ص ١٨٣-٢٢٦) تعريف السنة وأقسامها، حجية السنة وإنكارها، تقسيم السنة، مكانة السنة (منزلتها، درجتها ، مراتبها).

٣- **علم أصول الفقه**، للأستاذ الدكتور محمد الزحيلي دار القلم – دبي – ط ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٤ م (٣٨١ صفحة)، الفصل الخامس: الأدلة الكلية للأحكام، أو مصادر التشريع الإسلامي..، ثانياً: السنة (ص ٤٩-٥١) تعريفها، حجيتها، أقسامها، مكانتها.

٤- **علم أصول الفقه**، للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف، دار القلم – دبي – ط١٤ – ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م (٢٣٦ صفحة)، القسم الثاني: الأدلة الشرعية ..، السنة (ص ٣٦- ٤٦).

٥- **أصول الفقه**، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة – بلا .ت – (٣٣١ صفحة) السنة (ص ٨٢-٨٩) تعريفها، حجيتها، روايتها وأقسامها، مقام السنة من الكتاب، أقسامها بالنسبة للقرآن، أفعال الرسول ﷺ.

٦- **أصول الفقه الإسلامي**، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق – ط١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (جزءان ١٢٣٠ صفحة)، الباب الثالث: مصادر الأحكام الشرعية (٤١٥/١) المبحث الثاني: السنة الشريفة (٤٤٩-٤٨٥/١) تعريفها، أقسامها، حجيتها، منزلتها بالنسبة للقرآن، العمل بخبر الآحاد، والمرسل، أفعال النبي ﷺ، تعارض أقواله وأفعاله.

٧- **الوجيز في أصول التشريع الإسلامي**، الدكتور محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٣-١٤١٠هـ/١٩٩٠م (٥٩٥ صفحة) الكتاب الثاني: السنة – (ص٢٧٩-٣٥٠) تعريفها، حجيتها، استقلالها بالتشريع، الأفعال، الأخبار.

٨- **تسهيل الوصول إلى علم الأصول**، الشيخ محمد عبد الرحمن عيد المحلاوي الحنفي القاضي (١٩٢٠م) طبع مصطفى البابي الحلبي – مصر – ١٣٤١ هـ- (٣٤٣ صفحة) ويتضمن: الباب الثاني: مباحث السنة (ص١٣٩ – ١٦٦) وفيه الوحي في حقه نوعان، عصمة الأنبياء، قوله ﷺ، اتصال الحديث، شروطه، أنواعه بحسب السند، العمل بخبر الآحاد، شروطه، الطعن في الحديث، حكم فعله ﷺ.

---

(١) موضوعات علم أصول الفقه هي: المصادر أو الأدلة، الحكم الشرعي، الدلالات، الاجتهاد، التعارض والترجيح، انظر كتابنا: الوجيز في علم أصول الفقه الإسلامي ٢٩/١.

(٢) أنظر على سبيل المثال: فهرس المصادر والمراجع لبعض هذه الكتب، لمعرفة غالب كتب أصول الفقه المصنفة في القرن الرابع عشر الهجري (الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، للباحث ٥١٣/١ +٤٥٦/٢).

٩- **الأصول العامة للفقه المقارن**، العلامة محمد تقي الحكيم، دار الأندلس – بلا مكان ، ولا.ت، ويتضمن: القسم الثاني: السنة (ص١١٩-٢٥١) تعريفها، حجيتها، سنة الصحابة وآل البيت، الطرق القطعية إلى السنة، الطرق غير القطعية (خبر الآحاد، الشهرة) ظنيها، السنة وكيفية الاستفادة منها، السنة كلها تشريع، السنة والكتاب.

١٠- **اللباب في أصول الفقه**، صفوان عدنان داوودي ، وعنوانه الفرعي: كتاب يقدم علم أصول الفقه بثوب جديد ومنهج ميسر مفيد، دار القلم – دمشق، دار البشير – جدة – ط١ – ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ويتضمن: الأصل الثاني: السنة (ص١٩٩-٢٢٦) تعريفها، وثبوتها، وخبر الواحد، ورتبة السنة، والسنة غير التشريعية، وأفعال النبي ﷺ.

١١- **أصول الفقه**، محمد أبو النور زهير، أربعة أجزاء، مقرر على طلبة كلية الشريعة بجامعة الأزهر، مطبعة دار التأليف بمصر – بلا تاريخ، ويتضمن الجزء الثالث: الكتاب الثاني: السنة (ص ١٠٨-١٧٧) وفيه: الأفعال، عصمة الأنبياء، تعارض القول مع الفعل، الأخبار وأقسامها، العمل بخبر الواحد، مدلول الخبر، فروع ذكرها الأسنوي ، مسائل في لفظ الخبر.

١٢- **أصول الفقه الإسلامي**، الدكتور الشيخ زكي الدين شعبان، أستاذ الشريعة بكلية الحقوق، جامعة عين شمس، دار النهضة العربية – القاهرة – ط٣-، ١٩٦٧-١٩٦٨ م (٤٤٧ صفحة)، المبحث الثاني: السنة (ص ٥٥-٨٦) تعريفها وأنواعها، موازنة بين الكتاب والسنة من ناحيتي الثبوت والدلالة، **حجية السنة**، منزلة السنة من الكتاب العزيز في الاحتجاج، وبالنسبة للأحكام الواردة فيهما، حكم أفعال الرسول ﷺ.

١٣- **أصول الفقه**، الدكتور الشيخ محمد زكريا البرديسي – رئيس قسم الشريعة – كلية الحقوق – جامعة عين شمس، دار النهضة العربية – القاهرة – ط٣-١٣٨٩ هـ /١٩٦٩م (٤٨٠ صفحة)، السنة (ص ١٨٥-٢١١) أقسامها، العمل بخبر الواحد، أفعال الرسول ﷺ، منزلة السنة في الاستدلال.

رابعاً – كتب عن حجية السنة :

" وهي كتب خاصة في حجية السنة ومكانتها، وهي كثيرة، نشير إلى أهمها دون بيان مضمونها تفصيلاً، لأنها تتضمن حصراً حجية السنة ومكانتها ومنزلتها في التشريع، ومنها :

١- **حجية السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم**، عبد المتعال محمد جبري، مكتبة وهبة – القاهرة – طبعة أولى – ١٩٨٦م ويقع الكتاب في ١٣٢ صفحة.

٢- **دراسات أصولية في السنة النبوية** ، محمد إبراهيم الحفناوي، وأهمها حجية السنة ومكانتها في التشريع، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفني، الإسكندرية ٢٠٠٢، ويقع الكتاب في (٣٧٣ صفحة) ويتضمن أهم بحث أصولي للسنة يعرض حجيتها، ومكانتها في التشريع.

٣- **السنة في مكانتها وفي تاريخها**، الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الجامع الأزهر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٨ (١١١ صفحة) ويقع الكتاب في ١١١ صفحة.

٤- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، الأستاذ الدكتور مصطفى حسني السباعي، دار الوراق – بيروت+ دار النيربين – دمشق – الطبعة الثالثة – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ويقع الكتاب في ٥٢١ صفحة، **وخصصنا له دراسة خاصة**.

٥- **منزلة السنة من الكتاب**، محمد سعيد منصور، مكتبة وهبة، القاهرة، الدار السودانية، الخرطوم– ط١-١٤١٣هـ/١٩٩٣م (٦٧٩ صفحة) التمهيد عن الكتاب الكريم (ص١١-١٢٥) موافقة السنة وتوكيدها للكتاب (ص ١٢٥-٣٣٨) دور السنة في بيان القرآن وتفسيره (ص ٣٣٩-٤٦٦) مرتبة السنة في التشريع الإسلامي (ص ٤٦٧-٥٠٢) أثر الخلاف في منزلة السنة من الكتاب في الفروع الفقهية (ص ٥٠٣-٥٥٤) الفهارس (ص ٥٦٥-٦٧٩).

٦- **دفاع عن السنة**، ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، وبيان الشبه الواردة على السنة قديماً وحديثاً، وردها رداً علمياً صحيحاً، ويليه: **الرد على من ينكر حجية السنة**، للشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق، والدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة – ط١ – ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م (٥١٠ صفحات)، وتضمن الكتاب مقدمة وثلاثة أقسام، القسم الأول (ص ١١) في الدفاع عن السنة، ونقد إجمالي لكتاب " أبي رية " وسيرة أبي هريرة، والقسم الثاني (ص

٢٥٢) في بعض الشبهة الواردة على السنة قديماً وحديثاً، وردها رداً علمياً صحيحاً، وتشكيك المستشرقين ببعض الأحاديث والرد عليها، والقسم الثالث (ص ٣٩٦) في بيان الشبه التي أوردها بعض من ينكر حجية السنة والرد عليها للدكتور عبد الغني عبد الخالق، ثم الخاتمة (ص ٤٩٩) والفهرس التحليلي (ص ٥٠٠ – ٥١٠)، والكتاب غزير المعلومات، وفيه تتبع لكثير من الشبه والافتراءات التي وردت عن السنة، ومناقشتها، والرد عليها، وكثرة الأمثلة للرد عليها.

٧- **مكانة السنة في الإسلام**، الدكتور محمد أبو زهو - دار الكتاب العربي، القاهرة – ط١-١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م (١٤٠ صفحة من الحجم العادي) ويتضمن خطبة الافتتاح والتعريف بالسنة، والعمل بها، وأنها تبين القرآن، وشبه المنكرين لحجية السنة، وردها، وشبه المنكرين لوجوب العمل بخبر الواحد، وحملة السنة وروادها، ومطاعن أعداء الإسلام في الصحابة، وسيرة أبي هريرة والمطاعن فيه وردها، ومفتريات أخرى لأعداء الإسلام، وبيان موقف الأئمة وبعض العلماء من السنة.

٨- **حجية السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم:** عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة – القاهرة – ط١- ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦ م (١٣٢ صفحة)، ويتضمن مقدمة (ص٥) والفصل الأول (ص٧) في التعريف بعلوم الدين وجمع السنة، **وجوب العمل بالسنة** (ص٢٧) **الرد على منكري حجية السنة** (ص٤٠) ، دفاع الصحابة **عن تطبيقات السنة** (ص٥٠) الفصل الثالث (ص٦٣) عن طرق التحمل والأداء ورموز الرواية، الفصل الثالث (ص٨٣) عن الآحاد والتواتر والمشهور، المقبول منها والمردود، الفصل الرابع (ص١٤٩) تصحيح الحديث والكشف عنه وتخريجه، الفصل الخامس (ص١٦١) أعلام المحدثين، وذكر الباحث في المقدمة (ص٥) أن " هذه الرسالة في مصطلحات المحدثين والتعريف بعلوم الحديث التي ينبغي أن يتبحر فيها محبو الاجتهاد، **كما أنها زاد لمن يواجهون منكري الاحتجاج** بالسنة بعد وفاة الرسول ﷺ".

واستعرض الباحث أمرين يتعلقان بموضوعنا، الأول: وجوب العمل بالسنة (ص٢٧) وذلك في صفحتين، مستدلا بالآيات الكريمة والسنة النبوية على حجية السنة، والثاني: الرد على منكري حجية السنة (ص٤٠) وذلك في صفحتين فقط، معتمداً على ما نقله الإمام الشافعي في " الأم " في عرض حجج منكري السنة وردّه عليها في كتابه (جماع العلم المطبوع مع الأم ٢٥٠/٧) وما أفرده عن ذلك في " الرسالة "، ثم نقل تفسير آية " ما فرطنا في الكتاب من شيء " من تفسير القرطبي (٣٩/١ ، ٤٢/٦، ١٦٤/١٠، ١٠٩) وما رواه الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: " كان الوحي ينزل على رسول الله ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك، وما رواه سعيد بن منصور عن مكحول قال: " القرآن أحوج إلى السنة من السنة للقرآن " وقول الإمام أحمد " السنة تفسر الكتاب وتبينه " ونقل قول مطرف بن عبد الله بن الشخير (من جامع بيان العلم ١٩١/٢) " لا تحدثونا إلا بالقرآن " فقال: " والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكنا نريد من هو أعلم به منا ".

٩- **حجية السنة، للعلامة عبد الغني عبد الخالق (١٩٠٨-١٩٨٣م)**، نشر دار القرآن الكريم بيروت عن الطبعة الأولى بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ألمانيا الغربية – شتوتغارت، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦م (٥٩٨ صفحة)، وهي رسالة دكتوراه من الجامع الأزهر في أصول الفقه سنة ١٩٤٠ م، وقال الدكتور طه جابر العلوني في تقديمه (ص٥) **" أهم ما كتُب عن السنة في هذا القرن على الإطلاق "** ثم ذكر أسباب الكتابة في الموضوع بظهور بدعة التفلت من السنة، والتخلص من الأحكام الثابتة فيها، والبعد عن أضوائها وأنوارها (ص١٣)، ونقل (ص١٧) ما قاله الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي " إن هذه الرسالة كتاب عظيم الأثر على دراسات السنة والحديث وعلومه في سائر أنحاء الدنيا، وهو لا يزال قادراً على تغيير مجرى الدراسات المعاصرة والمنتظرة في السنة، ورد الكثير من الشبهات المثارة حولها .. " ويتضمن الكتاب مقدمة أولى (ص٤٣) في معاني السنة، ومقدمة ثانية (ص٨٥) في عصمة الأنبياء، والباب الأول (ص٢٤٥) في بيان أن حجية السنة ضرورة دينية، وأنه لم يقع فيها خلاف بين المسلمين قاطبة، والباب الثاني (ص٢٧٨) في بيان أدلة حجية السنة، وهي سبعة، والباب الثالث (ص٣٨٣) في بيان السنه التي أوردها بعض من ينكر حجية السنة، والرد عليها، والخاتمة (ص٤٨٣) في مباحث تتعلق بحجية السنة، ثم الفهارس (ص٥٤١ – ٥٩٨).

١٠- **دفاع عن الحديث النبوي**، وتفنيد شبهات خصومه، للأساتذة: محي الدين الخطيب (رئيس تحرير مجلة الأزهر) وسليمان الندوي (كبير علماء الهند) ومصطفى السباعي (رئيس المحكمة بدمشق)، نشر زكريا علي يوسف، القاهرة – بدون تاريخ (١٤٤ صفحة من الحجم العادي) ويتضمن كلمة

مهمة للناشر، ثم كلمات إجمالية (ص٨-١٦) للأستاذ محب الدين الخطيب عن حرص الصحابة على الحديث والتثبت منه وروايته، وقوة حافظة العرب، ثم كلمة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى (ص١٧-٢٤) عن منزلة السنة من الكتاب، ولطم من تجرأ على رد الأحاديث في القديم والحديث بأدلة دامغة، لإثبات **حجية السنة** ، ثم كلمة السيد سليمان الندوي (ص٢٥-٣٥) عن حاجة الإسلام إلى الحديث النبوي ، وأن أحاديث الآحاد متى صحت روايتها فلا مفر من العمل بها، ثم كلمة الشيخ أحمد شاكر (ص٣٣-٣٨) عن أبي هريرة وما نبزه به صاحب الكتاب الخبيث، وما دافع به عنه أهل الحديث، ثم الكلمة التفصيلية (ص٤١-١٠٢) للدكتور مصطفى السباعي، ثم كلمة للدكتور طه حسين (ص١١٣-١١٦) ينقد فيه الكتاب الخبيث، ثم كلمة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة (ص١١٦) في تدليس صاحب الكتاب الخبيث (والمراد كتاب أضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبو رية) ثم كلمة الناشر (ص١٣١-١٣٨) للوقوف في وجه هذه الطائفة التي تطعن بالسنة مع الدفاع عن أبي هريرة ودفع شبهات المانعين للاحتجاج بالسنة، وأخيراً بحث ابن القيم (ص١٣٩) في أن السنة تستقل بالأحكام ، وذكر عشرات الأحكام التي جاءت في السنة دون القرآن في جميع نواحي الشريعة من عبادات ومعاملات ، فإذا تركناها فلا يبقى إسلام.

١١- كتب أخرى :

- القرآنيون، وشبهاتهم حول السنة، إلهي بخش، خادم حسين، مكتبة الصديق/الطائف – ١٩٨٩م.
- المستشرقون والسنة، سعد المرصفي – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت – ١٩٩٤م.
- دفاع عن السنة، محمد محمد أبو زهو، وزارة الأوقاف، القاهرة – ١٩٦٠م.
- منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – الدار السلطية – الكويت – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، علي خشان، د.ن – بيروت – ١٩٦٠.
- ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها، الدكتور صالح أحمد رضا، نشر جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية – الرياض – ١٩٨٦م.

الفصل الثاني
دراسة خاصة عن حجية السنة

بعد التقديم السابق عن حجية السنة عامة ، وسرد لبعض الكتب والبحوث والدراسات التي تناولت السنة ، لبيان مكانتها المهمة ، ومنزلتها الرفيعة ، وحاجة المسلمين إليها ، أقدم دراسة خاصة ومتواضعة عن أحد الكتب التي تناولت حجية السنة، وهو كتاب " **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** " للدكتور مصطفى السباعي، والذي يعتبر مع كتاب " حجية السنة " للشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق، أهم كتابين على الإطلاق ظهرا في القرن الرابع عشر للهجرة لبيان مكانة السنة في الشريعة، وأهميتها في الإسلام(١)، والكتابان رسالتان للدكتوراه من الجامع الأزهر، وتمتازان بالعمق العلمي، والإخلاص في البحث، والتحليل الدقيق، والحجج القوية، وتمتاز الأولى بالعموم والشمول حسب عنوانها، فعرضت مباحث السنة عامة وما يتعلق بعلومها، ثم حجيتها، وتمتاز أيضاً بعرض شبه المستشرقين، وتتبع أقوالهم وآرائهم، والرد عليها بإسهاب وعمق، وتتميز الثانية بالدراسة الأصولية الفقهية المعمقة.

ونخصص دراستنا عن كتاب الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، ونقدم نبذة مختصرة جداً عن حياته وسيرته الشخصية والعلمية، ثم نقوم بدراسة وتقويم لكتابه، أو أطروحته، لعرض ما فيها، ولبيان مقتضب عن قيمتها ، وذلك في مبحثين.

المبحث الأول
ترجمة العالم المجاهد مصطفى السباعي

إن حياة العلامة الداعية، والمجاهد بالسيف والسنان، والفقيه المجدد، تحتاج إلى دراسات مطولة، وبحوث مخصصة ومعمقة، ولا يتسع المجال لعرضها هنا، ولذلك نقدم مقتطفات سريعة للتعريف بحياته وشخصيته وعلمه وعلومه ومكانته(٢)، لتكون مجرد تقديم للمبحث الثاني عن كتابه القيم المفيد، ونعرض ذلك في فقرات متتالية.

١- اسمه ونسبه ونشأته :

هو مصطفى بن حسني السباعي، ولد بحمص سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٥م)، وهو سليل أسرة عريقة، وبيت علمي منذ مئات السنين، وكان أبوه فقيها، ويُحضره مجالس العلم وحلقات الفقه، ثم وجهه إلى دراسة علوم الشريعة، وبخاصة دراسة الفقه المقارن ومسالك الأئمة في اجتهادهم(٣).

٢- طلبه للعلم :

نشأ الشيخ المجاهد في مدينة حمص – وسط سورية – وأخذ العلم والفقه والقرآن أولاً على يد والده رحمه الله تعالى، ثم التحق بالمدرسة المسعودية الابتدائية ، ثم انتقل إلى **الثانوية الشرعية** بحمص (إعدادي وثانوي) وتخرج منها سنة ١٩٣٠م، وكان في أثناء دراسته الثانوية قد اطلع على مجلة "الفتح"

---

(١) قال الأستاذ أبو الحسن الندوي: "وكتاب صديقنا المجاهد الداعية مصطفى السباعي: " السنة " هو أفضل ما كتب في الموضوع وأجمعه " وقال الأستاذ الدكتور محمد رجب بيومي: " إن الأستاذ السباعي بلغ في هذا الكتاب مبلغاً كان السابق المجلّي فيه، حيث تبعه كثير من الباحثين حين لمسوا سلامة المنهج وقوة الاستنتاج، ووضوح الدليل " ثم قال: " وهذا نجاح لا يتحقق إلا بتوفيق كبير من الله، فهو الملهم إلى الصراط المستقيم " وكان العلماء والباحثون عالة على الكتاب والاستفادة من بحوثه ومعلوماته وعمقه، وأحياناً انتحاله وسرقة المعلومات عنه دون إحالة (انظر : مصطفى السباعي ، زرزور ص ٣٦٠).

(٢) كتب الأخ المفضال الأستاذ الدكتور عدنان زرزور كتاباً في سلسلة " أعلام المسلمين " رقم ٨٢ ، بعنوان " مصطفى السباعي، الداعية المجدد " ويقع في ٥٥٠ صفحة من الحجم الوسط، وطبعته دار القلم – دمشق – ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، وهو دراسة معمقة، ووافية إلى حد ما، وصرح أنه بقي لديه الكثير، ويختزن معلومات أخرى إضافية، فأضافها، وأصدرها في كتاب كبير، ومجلد عظيم بعنوان " مصطفى السباعي، الداعية المجاهد، والفقيه المجدد " ويقع في ٥٨٤ صفحة من الحجم العادي، وطبعته أيضاً دار القلم – دمشق – طبعة مزيدة ومنقحة – ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م، وكان الجهد مباركاً، والدراسة معمقة، والتحليل دقيقاً، مع التتبع لسرد حياة الشيخ رحمه الله تعالى، ثم سرد كفاح الشيخ ونضاله ومشاركته في الجهاد الإعلامي والسياسي والقتالي، وكان الدكتور زرزور – حفظه الله ورعاه، وشفاه وعافاه، ونفع بعلمه وفضله – كأنه يؤرخ للدعوة الإسلامية في مصر وسورية خاصة، وللعالم الإسلامي والدعاة فيه عامة في القرن الرابع عشر الهجري، وسوف اعتمد على الكتاب الثاني حصراً .

(٣) مصطفى السباعي، زرزور ص ١٠٣ .

التي كان يصدرها الداعية المصلح محب الدين الخطيب بالقاهرة، فتأثر بها، وتفتحت آفاقه السياسية منها، واطلع على حاضر العالم الإسلامي.

وكان السباعي رحمه الله تعالى شغوفاً بالقراءة والمطالعة الكثيرة التي أدت إلى نجاحه الباهر، وتفوقه الملموس على أقرانه على مقعد الدراسة، حتى اعتلى منبر المسجد الجامع الذي كان أبوه يتولى الخطابة فيه، فظهرت مواهبه الجمة، وأفقه الواسع، ونظرته البعيدة.(١)

وانتسب في حمص إلى جماعة " **الرابطة الدينية** " ثم ألف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية التي أنشئت بمساعدة الانتداب الفرنسي على سورية، وتولى توعية الشباب والطلاب والآباء، كما توجه إلى الاصلاح الديني، ومحاربة البدع والخرافات المنسوبة للإسلام، وفوق كل ذلك بدأ في مقارعة الاستعمار الفرنسي بخطبه ومحاضراته دون أن يعبأ بالأحكام العرفية وأوامر المفوض السامي الفرنسي، فألقي القبض عليه ودخل السجن لبضعة شهور.(٢)

بعد خروجه من السجن توجه إلى مصر والتحق بالدراسة بالأزهر عام ١٩٣٣م في كلية الشريعة، تخصص الفقه والأصول، ولم يمض عليه عام بالأزهر حتى صار المعبر والمتحدث عن حاجات الطلبة غير المصريين وبيان مطالبهم في الأزهر الجديد الذي كان في عهد التطوير والتجديد للانتقال إلى نظام الكليات، وكتب في الصحف، وألقى خطاباً، وقاد مظاهرة ضخمة ضد الاحتلال البريطاني، فألقي القبض عليه وأودع السجن مدة، كما اتهمته القيادة البريطانية عام ١٩٤١م بتشكيل مسيرة لتحريض المصريين على الثورة وقبضت عليه، وسجنته أربعة أشهر، ثم استمر في كتابة المقالات العلمية والمحاضرات والخطابات طوال وجوده بمصر.

وألف السباعي رحمه الله تعالى مع بعض زملائه الأزهريين لجنة باسم " **لجنة الشؤون الإسلامية بالأزهر**" في أوائل عام ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م لرفع صوت الأزهر عالياً بالدفاع عن الإسلام وتشريعه، وتتبع نهضات المسلمين وأخبارهم.(٣)

وتابع السباعي في مصر خطبه ومقالاته ودفاعه عن الإسلام والمسلمين، وتحريضه على المحتلين في مصر وسورية وسائر البلاد الإسلامية وخاصة فلسطين، ويكتب بنفسه المنشورات في ذلك.

وعاد الداعية العلامة إلى سورية ليتابع الدعوة والجهاد، والمشاركة في الحياة السياسية، لمدة سبع سنوات، ثم عاد إلى مصر والأزهر حتى نال درجة العالمية " الدكتوراه " في الفقه والأصول وتاريخ التشريع، وكانت رسالته بعنوان " **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** " التي سنتولى دراستها في الفصل الثاني، وفرغ منها في شهر رجب ١٣٦٨هـ / الموافق شهر أيار (مايو) ١٩٤٩م، ثم ناقشها في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ / الموافق ١٩٥٠/٤/١٢م ، ثم رجع إلى عرينه في سورية ليتابع أعماله المجيدة.(٤)

٣- نشاطه في الدعوة وأعماله :

كان السباعي رحمه الله تعالى يتمتع بمواهب جمة، منها الموهبة القيادية الشابة، وكان مغرماً بجماعة " **رابطة شباب محمد** ﷺ" بحلب، وحضر مؤتمراتها، "**وجمعية الشبان المسلمين** "، بدمشق، وأصبح السباعي رحمه الله تعالى يتولى قيادة العمل الإسلامي بسورية، لما يتمتع به من روح دعوية وبُعد سياسي وإصلاح اجتماعي وفكري وثقافي، متأثراً بالشهيد حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين بمصر، مع التركيز على قضية فلسطين، ومشاركة السباعي رحمه الله تعالى في الجهاد والقتال بنفسه في محاربة اليهود والمحتلين، ثم شارك في السياسة بسورية، وانتخب لمجلس البرلمان، وكان له تأثير بارز عند وضع الدستور السوري لعام ١٩٥٠م.(٥)

ولما عاد إلى سورية قبل مناقشة الدكتوراه قاد شباب محمد وجماعة الإخوان المسلمين بسورية، وكان العلامة السباعي يشارك في عدة نشاطات أثناء دراسته بمصر وسورية، ثم خاض معركة الجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨، ثم ترشح لانتخابات الجمعية التأسيسية (البرلمان) سنة ١٩٥٠م، عن مدينة دمشق،

---

(١) مصطفى السباعي، زرزور ص ١١١ .
(٢) مصطفى السباعي، زرزور ص ١١٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١١٧ وما بعدها .
(٤) المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعدها .
(٥) المرجع السابق ص ١٤٩ وما بعدها .

وصار عضواً فيها، وفي أثنائها ناقش رسالته للدكتوراه، ثم عمل محاضراً في كلية الحقوق بجامعة دمشق.

وفي عام ١٩٥٤م، عمل على افتتاح كلية الشريعة بجامعة دمشق، وصار عميداً لها، ثم بقي أستاذاً فيها حتى وافته المنية عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

٤- إنتاجه العلمي :

كان العلامة السباعي رحمه الله تعالى نابغة في فكره، ومجلياً في كتاباته وقلمه، وخطيباً مصقعاً في المساجد والمناسبات، وتحت قبة البرلمان، وكتب عشرات المقالات في الصحف والمجلات منذ نعومة أظفاره في سورية، ثم تابع كتاباته الفكرية والسياسية والثقافية والدينية في المجلات والصحف أثناء وجوده في مصر، ثم بعد عودته إلى سورية، وكان شاعراً صادق العاطفة، وكان إنتاجه العلمي غزيراً، وهو:

١- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، وهي أطروحة للحصول على الدكتوراه من الجامع الأزهر، وناقشها عام ١٣٦٩هـ /١٩٥٠م، وهي أول كتبه، وطبعت عدة طبعات، وسنفردها بالدراسة.
٢- من روائع حضارتنا.
٣- أخلاقنا الاجتماعية.
٤- عظماؤنا في التاريخ.
٥- شرح قانون الأحوال الشخصية السوري (ثلاثة أجزاء).
٦- المرأة بين الفقه والقانون.
٧- دعوة الإسلام واقعية لا خيال.
٨- هذا هو الإسلام (جزءان).
٩- هكذا علمتني الحياة (قسمان : الاجتماعي والسياسي).
١٠- أحكام الصيام وفلسفته.
١١- اشتراكية الإسلام.
١٢- السيرة النبوية (دروس وعبر).
١٣- القلائد من فرائد الفوائد (مختارات من كتب التراث).
١٤- العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ.
١٥- كتب لم يكملها، وهي: النظام الاجتماعي في الإسلام، وقانون النفقات في الفقه الإسلامي أو في الإسلام، والمسألة المالية من نصوص الحديث النبوي من الكتب الستة وغيرها[١]، وكل كتاب يحتاج إلى دراسة خاصة.

٥- وفاته :

أدى الداعية المجاهد والفقيه المجدد فريضة الحج مرتين في شبابه، عامي ١٣٦٤ هـ، ١٣٧١ هـ، وقام في عام ١٣٧٥ هـ بزيارة الحجاز والحرمين مع بعثة من كلية الشريعة وطلابها بجامعة دمشق، ثم حلّ به المرض العضال بعد صراعه السياسي في انتخابات ١٩٥٧م نتيجة تآمر المنافقين مع الأحزاب العلمانية بسورية واللعب الانتخابية، وازداد به الشوق مع الآلام المبرحة لأداء الحج وزيارة الحرمين، وغادر دمشق إلى المدينة المنورة في ١٣٨٣/١١/٢٣ هـ الموافق ١٩٦٤/٤/٥م، وخفف الله عنه المرض بشكل مذهل في هذه الرحلة المباركة التي دوَّن بعض انطباعاته عنها، ووعد بإكمال ذلك، ولكن وعد الله المحتوم كان سابقاً، وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت الواقع في ١٣٨٤/٥/٢٧ هـ - الموافق ١٩٦٤/١٠/٢٣م، ولم يتجاوز التاسعة والأربعين من العمر، وشيعت جنازته في اليوم التالي بعشرات الآلاف من بيته إلى جامع بني أمية الكبير، ثم دفن في مقبرة باب الصغير بدمشق التي تضم أجساد الصحابة والتابعين، وألقيت القصائد والكلمات في تأبينه عند الدفن، وبعد ذلك في مدرج جامعة دمشق، وعند مرور سنة على وفاته، رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل الله مثوبته، وأنزل شآبيب الرحمة على قبره، وجمعنا معه ومع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً، وله مآثر جمّة يعجز القلم عنها، وتحتاج إلى دراسات ومجلدات، لأنه فارس العصر للقرن العشرين أو القرن الرابع عشر الهجرية.[٢]

---

(١) مصطفى السباعي، زرزور ص ٣٥٧ ، ٣٧٦ .
(٢) مصطفى السباعي ، زرزور ص ٥٢٩ وما بعدها .

المبحث الثاني
دراسة وتقديم لكتاب المرحوم السباعي
" السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي "

يعدّ هذا الكتاب أهم الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري، للجهد الجبار الذي فيه، وأنه أطروحة دكتوراه من الجامع الأزهر، وأنه صدر من أبرز الأعلام في هذا القرن، وكان حلقة في سلسلة إنتاجه الطيب المبارك، وكتاباته المشهورة في الصحف والمجلات، وتمثل فيه الجهاد العلمي في إثبات الحق، والرد على المستشرقين والحاقدين وأعداء الإسلام، وحمل مشعل النور والحق أمام الجيل، ولذلك نقدم عنه هذه الدراسة.

أولاً : توصيف الكتاب :

١- يقع الكتاب في ٥٢١ صفحة من القطع العادي في طبعته الثالثة بدار الورّاق ودار النيربين بدمشق وبيروت، عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، وسبق ظهوره في طبعته الثانية بالمكتب الإسلامي – بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م في ٤٤٨ صفحة، مع مقدمة وتمهيد وملحقين، وطبع لأول مرة في الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ونشرته مكتبة دار العروبة بالقاهرة في مطبعة المدني بمصر، وكان الكتاب قد خرج رسالة للأستاذية قبل مناقشتها في الأزهر على الآلة الكاتبة بالقاهرة في ٦ رجب هـ الموافق ٤ آيار (مايو) ١٩٤٩.

٢- يتألف الكتاب من إهداء، ومقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وملاحق، وأهم المراجع، وفهرس المحتوى.

وأضيف في الطبعة الثالثة صورة مصورة (فوتوكوبي) من قسمين، الأعلى صورة طلب إلى شيخ الجامع الأزهر من خمسة سطور، يطلب فيها المؤلف رحمه الله تعالى الحصول على تصديق يثبت نجاحه في شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والأصول عام ١٩٥٠م بدرجة ممتاز، والقسم الأسفل صورة من ستة أسطر من مدير إدارة الامتحانات، ومعتمدة أصولاً، تفيد نجاح المؤلف بالشهادة أمام اللجنة المؤلفة لمناقشة الرسالة بتاريخ ١٣٦٩/٦/٢٤هـ الموافق ١٩٥٠/٤/١٢م، وتصديق المجلس الأعلى للأزهر.

والإهداء (ص٥) من المؤلف إلى والده حسني السباعي رحمه الله تعالى مشيداً بفضله وعلمه ودعوته وأثره عليه، ثم كتب الشيخ الأستاذ زهير الشاويش الذي نشر الطبعة الثانية حاشية في أسفل الصفحة يذكر فيه نبذة مختصرة عن حياة العالم الوالد وبعض مآثره في الدعوة.

ثم جاءت (ص٧) **مقدمة** الطبعة الثانية بقلم أستاذنا الدكتور محمد أديب صاح كتقريظ موجز للكتاب، مع بيان أهمية الكتاب الذي ملأ فراغاً كبيراً في ميدان مكانة السنة، مبيناً عكوف المؤلف رحمه الله تعالى على تنقيحه وزيادة التعليقات عليه حتى وافته المنية غفر الله له، فأضاف ملحقين للرسالة، ووعد بملحق ثالث حالت وفاته دون إنجازه.

والمقدمة (ص١١) تشير إلى اضطراب النظم العالمية، وثبات العقيدة الإسلامية التي يجب الرجوع إليها، مع سعة مصادر الشريعة للتطبيق، ثم إشارة إلى تعرض السنة للهجوم، ومساهمة المؤلف رحمه الله تعالى في الرد على ذلك عام ١٣٥٨هـ مما دفعه لاختيار هذا الموضوع أطروحة للبحث، مع بيان خطة الرسالة، وأرّخ الانتهاء من الرسالة بالقاهرة في ١٣٦٨/٧/٦هـ الموافق ٤/ آيار (مايو) ١٩٤٩م.

والتمهيد (١٥-٦١) هو مقدمة للطبعة الأولى، مبيناً العوامل التي حالت دون نشر الكتاب بعد مناقشة رسالته، والظروف الصعبة التي كتبت بها الرسالة بإيجاز، وأنها تحتاج إلى التوسع، ولم تتح الأيام القاسية التي عاشها في الدعوة والعمل الإسلامي لتحقيق هذه الأمنية، حتى انتشر كتاب " أضواء على السنة " لمحمود أبي رية وما فيه من افتراءات، فألح الأصدقاء على طبع الرسالة، لتكون رداً عليه، فدفعها للطبعة الأولى كما كتبها مع إضافة تعليق موجز على بحث أبي هريرة تنويهاً لافتراءات أبي رية عليه، ثم عرض في التمهيد بعض الملاحظات على كتاب أبي رية بأسلوب علمي رصين تكشف الخبايا، وترد المطاعن المستمدة من مصادر هزيلة ومن آراء للمستشرقين الذين قابل بعضهم السباعي في أوروبا وناقشهم في آرائهم ورد عليهم.

والباب الأول (ص٦٣) في معنى السنة ونقلها وتدوينها، وفيه أربعة فصول، الأول (ص٦٥) في معنى السنة، وتعريفها، وموقف الصحابة منها، والثاني (ص٩٢) كيف نشأ الوضع في السنة؟ ومتى؟ وأين؟ وفيه مباحث، والثالث (ص١٠٨) في جهود العلماء لتنقيتها وتصحيحها، لمقاومة حركة الوضع، ثم استطرد في بيان الموضوع وعلاماته، والرابع (ص١٢٢) في ثمار جهود العلماء ونتائجها بالنسبة للسنة في تدوينها وظهور علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل وسائر علوم الحديث، وتأليف الكتب في الموضوعات والوضاعين، والكتب في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مع الأمثلة لكل ذلك.

والباب الثاني (ص١٤٥) في الشبه الواردة على السنة في مختلف العصور، وفيه سبعة فصول، الأول (ص١٤٧) عن السنة مع الشيعة والخوارج، والثاني (ص١٥٢) عن السنة مع المعتزلة والمتكلمين، والثالث (ص١٦٥) عن السنة مع منكري حجيتها قديماً، والفصل الرابع (ص١٧٦) عن السنة مع منكري حجيتها حديثاً، فذكر أدلتهم وشبههم، ثم ردها، والفصل الخامس (ص١٩٠) عن السنة مع منكري حجية الآحاد، والفصل السادس (ص٢١١) عن السنة مع المستشرقين، وتوسع في ترجمة الإمام الزهري ومكانته في التاريخ (ص٢٣٢) ثم عاد إلى مناقشة أدلة المستشرقين (ص٢٥٣) والفصل السابع (ص٢٦٤) في السنة مع بعض المتكلمين حديثاً، للرد على ما كتبه أحمد أمين في "فجر الإسلام"، مع ذكر نبذة حول أبي هريرة، ووقفة مع أبي رية لمناقشة تهمه وافتراءاته على أبي هريرة.

والباب الثالث (ص٤٠٩) في مرتبة السنة في التشريع، وفيه ثلاثة فصول، الأول (ص٤١١) في مرتبة السنة مع الكتاب، والفصل الثاني (ص٤٢١) كيف اشتمل القرآن على السنة، والفصل الثالث (ص٤١٩) في نسخ السنة بالقرآن، والقرآن بالسنة.

والخاتمة (ص٤٣٥) في تراجم الأئمة الأربعة في المذاهب الفقهية، ثم أئمة الحديث أصحاب الكتب الستة مع التعريف الموجز بكتبهم.

والملاحق (ص٤٩٥) وتتضمن أمرين: الأول (ص٤٩٧) متى نسد هذه الثغرة (الطعن بالسنة والتشكيك فيها والدعوة لوحدة الموقف)، والثاني (ص٥٠٢) بعنوان: لا يا عدو الله، سنطاردك بالحق حتى يرغم الله أنفك، للرد على الكتاب الثاني الذي صدر للشيخ محمود أبي رية.

ويأتي ثبت لأهم مراجع الكتاب (ص٥١٠) مرتبة موضوعياً ثم ألفبائياً، وأخيراً: فهرس المحتوى (ص٥١٥) لعرض رؤوس الأقسام، والعناوين السليمة.

ثانياً : أهمية الكتاب :

إن كتاب "**السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**" في غاية من الأهمية، لأنه تناول المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي التي يعتمد عليها المسلمون طوال التاريخ الإسلامي منذ أول البعثة، وخلال العهود الإسلامية المتتالية، وفي الوقت الحاضر، وفي المستقبل حتى تقوم الساعة.

والسنة النبوية الشريفة وإن كانت المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، ولكن دراستها وإثباتها، والاعتماد عليها، تحتل مركز الصدارة في الأهمية، والدرجة الأولى، وذلك لأسباب:

١- الظروف التي مرت بها السنة:

إن القرآن الكريم حفظ كاملاً في الصدور وفي السطور منذ لحظة نزوله، وفي العهد النبوي، وتوفر له الحفاظ والكتاب مع التدوين والحفظ والتلاوة في الصلاة وفي المساجد والبيوت والطرقات، وفي الحل والسفر، وهو محصور بين دفتين، بعدد سوره وآياته وكلماته وحروفه، فسهل حفظه والعناية به ومنع الزيادة أو النقص منه، وضمن من التغيير والتبديل والتحريف.

هذه الظروف توفرت للسنة في مجملها، أما في تفصيلاتها فلم تحظ بها حتى وقتنا الحاضر، ولذلك تعرضت لعوادي الدهر، وهجوم الأعداء، وتشكيك الحاقدين، والنيل بها من أصحاب النفوس الضعيفة، وحتى من عوام المسلمين، وضعاف الإيمان، ووصل الكيد لها بالإنكار قديماً وحديثاً.

فجاء هذا الكتاب ليكون لبنة صلبة في خدمة السنة، وفي مضمار ثبوتها، وبيان أهميتها، ومكانتها ليس في التشريع الإسلامي فحسب، بل في الثروة البيانية، واللغة العربية والأخلاق الإسلامية، والعقيدة الدينية، وفي التوثيق العلمي، وبيان العلوم التي اختصت بها السنة.(١)

ويكاد أن تمثل **مكانة السنة في التشريع الإسلامي** أقل من سدس الكتاب، وذلك في أربعة فصول فقط، وهي الفصل الأول من الباب الأول "معنى السنة وتعريفها" (٢)، والباب الثاني في مرتبة السنة في

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص(٣٩٧-٩٢) (٥٠٩-٤٣٥).
(٢) المرجع السابق ص٦٥-٩١.

التشريع في ثلاثة فصول، وهي: مرتبة السنة مع الكتاب، وكيف اشتمل القرآن على السنة؟ ونسخ السنة بالقرآن، والقرآن بالسنة.[١]

وهذا القسم يكاد أن تكون أهميته متواضعة، ومكررة مع ما كتبه علماء أصول الفقه، بل وأقل قيمة علمية مما أفرده الأصوليون لذلك في الكتب المطولة، ويعتمد هذا الكتاب عليها بشكل مباشر في نقل الآراء والأدلة، والمناقشة، والأمثلة، والجديد في هذا القسم هو الجمع والصياغة والنفس العلمي الطاهر، والتلخيص لما سبق.

أما معظم الكتاب فهو في تاريخ السنة، وجمعها، وتدوينها، وعلومها، واستعراض جهود العلماء قديماً لمقاومة حركة الوضع (الكذب في الحديث) وثمار هذه الجهود التي نتجت في تدوين السنة، وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وسائر علوم الحديث، مما بيّنه الباحث العلامة[٢]، وتأتي أهميته كدرجة أعلى بكثير مما سبق، لأنه استعرض ذلك تاريخياً، واستفاد من الدراسات والكتب والمصنفات المخصصة فيه، ثم ترتقي الأهمية إلى الدرجات العليا في جمع واستعراض الشبه الواردة على السنة في مختلف العصور في الباب الثاني، وذلك في سبعة فصول، وتحتل معظم صفحات الكتاب[٣]، وهي مما انفرد به الباحث العلامة رحمه الله تعالى، وتعد أهم قسم في الكتاب، وأميز ما فيه، ويضاف إليها ما أضافه العلامة السباعي من التمهيد بمناسبة الطبعة الأولى[٤]، ثم الملاحق في نهاية الكتاب في الطبعة الثانية[٥]، وهذا ما يقودنا للسبب الثاني لأهمية البحث عن السنة ومكانتها.

٢- الناحية الموضوعية :

إن الهجوم الضاري على السنة، والشبه التي ألصقت بها، والطعن والحقد الذي لحق بالحديث الشريف، دفع العلماء لبيان مكانة السنة عامة، واضطرهم لإعداد القوة الكافية خاصة لرد الهجمات، وتفرق ذلك تاريخياً، وتفاوتت قوته على يد العلماء، حتى وصلت قمته على يد العلامة السباعي رحمه الله تعالى، وخاصة أنه عرض ماصدر من شبهات خلال التاريخ عن السنة وفندها وردّها، ثم اتجه إلى الشبهات المعاصرة، وما صدر على لسان بعض المستشرقين وأعوانهم وأتباعهم، وكان السباعي رحمه الله مغرماً بذلك، ومستقصياً لآرائهم، ومتتبعاً لشبهاتهم، ومتحدياً للقائهم والحوار معهم ومجادلتهم، فرد الصاع صاعين، والكيل كيلين، وسار معهم حذو القذة بالقذة، لينقل دعاويهم بأمانة علمية، ثم يردها رداً محكماً من الناحيتين المنهجية والموضوعية، فكشف منهجهم العلمي المزيف القائم في كثير من الأحيان على التحريف، والدس، والكذب، والافتراء، وسوء الأدب، وخيانة الأمانة العلمية، وعدم الموضوعية المشحونة بالحقد والضغينة التي يترفع عنها الباحث والعالم والكاتب النزيه[٦]، ثم ردَ حججهم من الناحية الموضوعية بأسلوب علمي، وحجج قوية، وإقناع ملزم، يثلج الصدر، ويلجم الخصم، ويفحم المفتري.

وكانت أهمية البحث الموضوعية عن السنة النبوية هو ما امتاز به الباحث العلامة السباعي رحمه الله.

ولم يكن عنوان الكاتب هو مكانة السنة في التشريع فحسب، ولو كان العنوان كذلك لكان غير مطابق للمحتوى والموضوع، لأن بحث مكانة السنة في التشريع كان أقل من السدس بكثير، بل جاء العنوان **السنة**، ليتناول المحتوى كل ما يتعلق بهذا الموضوع الكبير الواسع، وخاصة في إثباتها، وعلومها، وما ورد عنها من دراسات وتشكيك، وافتراءات، لمناقشتها والرد عليها، وإثبات الحق فيها.

ثالثاً : الجدّة :

إن الجانب الموضوعي السابق في أهمية الكتاب يمثل أيضاً جانب الجدة في البحث والعرض والمحتوى والأسلوب، **فجمع الباحث شُبه المعادين للسنة، وفنّدها بطرق علمية لم يُسبق إليها**، حتى رسخت حججه وأدلته في الأذهان، وترددت في جنبات المعاهد والجامعات، ونقلت إلى درهات الكليات، وتناقلها الباحثون.

---

(١) المرجع السابق ص٤٠٩-٤٣٤.

(٢) المرجع السابق ص٩٢-١٤٤، ويضاف إليها الخاتمة (ص٤٣٥-٤٩٤) التي تحدثت عن أئمة المذاهب الفقهية الأربعة، وأصحاب الكتب الستة في الحديث، والتعريف بكتب العشرة، وخاصة ما يتعلق منها بالسنة والصحيحين والسنن الأربعة.

(٣) المصدر السابق ص١٤٥-٣٨٩.

(٤) المصدر السابق ص١٥-٦١.

(٥) المصدر السابق ص٤٩٥-٥٠٩.

(٦) انظر: ص٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، وخاصة قصة العلامة السباعي رحمه الله تعالى مع الدكتور علي حسن عبد القادر ص٣٤.

وكما أن القائد العسكري العبقري يبحث عن مركز القوة في جبهة العدو، ونقاط الضعف فيها، ليضرب المركز، ويستأصل القيادة، ويهاجم نقاط الضعف، ليمخر العباب للقلب وما وراء الجبهة، فهذا ما فعله العلامة السباعي رحمه الله تعالى، فكشف مركز الثقل المعادي الحاقد الداخلي بديار المسلمين، والخارجي من وراء الحدود، وهو التضعيف والتوهين والتشكيك لعلامتي السنة أبي هريرة والزهري رحمهما الله، وقصفه بالقذائف الحارقة، والقنابل المدمرة، فدك حصون الأعداء، وأصاب كبد الحقيقة، وبيّن مكانة هذين العالمين، فأبو هريرة أكثر الصحابة رواية للحديث[1]، والزهري من أئمة التابعين في الفقه والحديث معاً، وأحد أئمة العهد الأموي بالشام[2]، ثم اتجه العلامة السباعي رحمه الله إلى نقاط الضعف عند المستشرقين والباحثين الحاقدين، وفضح عوارهم، وأزال الحجب عن وسائلهم الخادعة التي يلبسونها باسم "المنهج العلمي" والعمل بخلافه، وباسم الحرية والموضوعية، وهم يصادرون حرية الآخرين، ويتحاملون على غيرهم، ويصرون على فرض آرائهم، وإثبات مزاعمهم التي يقررونها سلفاً، ثم يبحثون عما يؤيدها بكل حيلة ووسيلة خادعة كاذبة.

رابعاً : الأصالة :

جاء كتاب **"السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"** أصيلاً بكل ما في الكلمة من معنى، مع كل ما استفاده من غيره ماضياً وحاضراً.

وتجلت الأصالة والجدة في جانبين:

الأول: في الأسلوب الرائع الذي كتب به الكتاب، وتميزه بالمقابلات الشخصية لعدد كبير من المستشرقين قبل كتابة الرسالة، وبعد كتابتها، بل بعد طبعتها الأولى مما أثبته في تمهيد الطبعة الثانية[3]، وحواره معهم، ومجادلتهم، ومعرفة خباياهم، والرد عليهم، وكشف الزيف عندهم، وسنعود لموضوع الأسلوب في فقرة لاحقة.

الثاني: في الموضوع: بإثبات مكانة السنة، وصحتها، وتدوينها، وحجيتها، وكأن المؤلف أتى بنظرية جديدة في حجية السنة، وأقام لها الأدلة والبراهين والحجج، وكأنه لم يسبق إلى ذلك، فاكتست رسالته حلة الأصالة بجدارة.

وسبق أن الشافعي قام بهذا الدور في القرن الثاني الهجري حتى **سمي ناصر السنة أو ناصر الحديث**، وجاء العلامة السباعي رحمه الله ليجدد هذا الإنجاز العلمي الرائد حتى يصح أن يسمى في القرن الرابع عشر الهجري **بأنه ناصر السنة الثاني**.

كما تتجلى الأصلة في إثبات القواعد والأسس والمنطلقات لبحوث السنة ومكانتها في التشريع، ليكون كل جانب منها أصلاً ومنطلقاً لبحث مستقل، ودراسة مستفيضة، وعمل علمي لاحق.

خامساً : التوثيق :

إن التوثيق العلمي للبحوث والدراسات مبدأ مقرر، وأصيل، ولا غبار عليه، ومتبع لدى جميع الأئمة والعلماء والمجتهدين وكبار الباحثين والمؤلفين والكتاب في التاريخ الإسلامي وحتى اليوم، وله صلة مباشرة بالأمانة العلمية، وبيان استفادة الباحث من غيره، وما تقدّمه من دراسات في موضوع بحثه.

ولكن صورة التوثيق، وكيفيته، ومداه يختلف من عصر إلى آخر، ومن زمن إلى زمن، ومن علم إلى علم، ويتطور، ويتعمق، ويتخذ صوراً متنوعة.

وإذا وضعنا في الاعتبار ما وصلت إليه كيفية التوثيق، ومداه وصوره في نهاية القرن الرابع عشر الهجري، ونهاية القرن العشرين الميلادي، فإننا نرى أن التوثيق في الكتاب متواضع جداً وقليل،

---

(١) انظر ما جاء في الكتاب "حول أبي هريرة ﷺ" ص٣٢٢ وما بعدها، ومناقشة أبي رية في تهمه وافتراءاته على أبي هريرة ص٣٥٣ وما بعدها، والكلمة المجملة عنه ص٣٨٩، وما أضافه العلامة السباعي رحمه الله تعالى في التمهيد عن أبي هريرة ص٢٣ وما بعدها، وإشارته لكتاب الشيخ عبد الحسين شرف الدين عن أبي هريرة ص٢٤٠، وعن كتاب ابنه صدر الدين شرف الدين "حليف مخزوم" في شتم الخلفاء الراشدين (ص٥٠٧).

(٢) انظر ما كتبه العلامة السباعي رحمه الله تعالى عن "الإمام الزهري ومكانته في التاريخ" ص٢٣٢ وما بعدها وقصة العلامة السباعي مع الدكتور علي حسن عبد القادر في موضوع الزهري ورأي المستشرق جولدزيهر فيه ص٣٤ وما بعدها.

(٣) انظر ص٢٦ وما بعدها من التمهيد للطبعة الثانية لكتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي".

ويشكو من قلة المصادر والمراجع، ويقتصر غالباً على مصدر واحد واثنين للفكرة(١)، وسوف نشير إلى ذلك في الملاحظات.

وإذا أخذنا في الاعتبار ما كان عليه التوثيق في النصف الأول من القرن الرابع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وحتى في الأربعينات منه، ونأخذ أول رسالة دكتوراه في الأزهر سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، وهي بعنوان "العادة والعرف" للشيخ الدكتور الأستاذ العلامة أحمد فهمي أبو سنة رحمه الله تعالى(٢)، إذا أخذنا في الاعتبار هذا المعيار فيأتي كتاب العلامة السباعي رحمه الله تعالى في القمة، وقد توفر فيه التوثيق الكامل، والكيفية المثالية، والمدى الأخير في التوثيق.

وجاء توثيق المعلومات دقيقاً جداً بذكر عنوان المصدر أو المرجع، واسم المؤلف، وتحديد الجزء والصفحة غالباً، مع تتبع المسائل في مظانها.

وكانت مصادر الكتاب ومراجعه أصيلة في موضوعها، ومعتمدة عند أرباب الاختصاص، ومتنوعة جداً حسب أبواب الكتاب وفصوله في العرض التاريخي وكتب التاريخ، وفي السنة والسيرة وتراجم الصحابة، وعلوم الحديث والتفسير وكتب الأدب، وفي كتب الرجال والتراجم، وفي الفقه بمذاهبه المختلفة، وفي أصول الفقه، وفي الفقه العام والمعاصر، والمعاجم واللغة وكتب الفهارس والطبقات، واستفاد المؤلف رحمه الله تعالى من الدراسات المكتوبة في عصره حتى من المستشرقين، وتتبع ما كتب عن الموضوع في المجلات والندوات والمؤتمرات واللقاء والاجتماعات الثنائية أو الجماعية، واعتمد قليلاً على المخطوطات التي لم تكن مطبوعة وقتئذ، ثم طبعت أخيراً، كالمحصول للرازي وتاريخ دمشق لابن عساكر(٣)، والموضوعات لابن الجوزي، والثقات لابن حبّان، وطبقات المحدثين للسيوطي.

وعمل المؤلف رحمه الله تعالى فهرساً لأهم مراجع الكتاب التي وصلت إلى ٩٧ مرجعاً(٤)، ثم قال في آخرها: " ومراجع أخرى تعرف من حواشي الكتاب ".(٥)

ورتب المؤلف رحمه الله تعالى فهرس أهم المراجع موضوعياً حسب العلوم، كالتفسير وعلومه، والعقيدة والفرق، والفقه وأصوله وتاريخه، والتاريخ، والأدب، وجاءت عناوين المراجع تحت كل علم كيفياً بدون ترتيب تاريخي أو ألفبائي، لكنه وضع لكل كتاب عنوانه باختصار، واسم مؤلفه أو شهرته باختصار أيضاً، وبعض البيانات المختصرة غالباً عن دار النشر، ومكانه، وتاريخه.

وأشار الأستاذ الدكتور محمد أديب صالح في مقدمته للطبعة الثانية إلى الظروف القاسية التي شهدها المؤلف رحمه الله تعالى، وشهد بها إخوانه الذين كان يسكن معهم في القاهرة "حين اضطرته تلك الظروف، وهو يجمع المادة العلمية للموضوع أن يغادر الشقة إلى مكان آخر حيث **لا يجد المراجع إلا بصعوبة أشد**، لا يحجز الأذى عنه ومخاطر الاتصال إلا عناية الله ".(٦)

سادساً : الأسلوب واللغة :

إن لغة الكتاب صحيحة وقويمة، وفيها الدقة، وانتقاء الكلمات، والحفاظ على المصطلحات واجتناب التقعر والغرابة.

وإن **أسلوبه واضح** رفيع، سلسل، بل هو أسلوب أخّاذ وفتّان، لأنه جمع البيان والفصاحة مع فصاحة المعاني، وعمق الأفكار، وروعة العرض والمناقشة والتحليل، ودقة الحوار، وموضوعية الجدل، وأمانة الكلمة، وصدق العاطفة، وحماسة الفكرة، والغيرة الصادقة.

وكيف لا يكون الأسلوب واللغة في القمة؟ والمؤلف رحمه الله تعالى خطيب مصقع، وأديب كبير، وداعية مجاهد بقلمه وحديثه وحواره، وقد ملك ناصية البيان، وتفنن في صنوف الخطابة والكتابة والتصنيف والحديث الجذاب، وهو صاحب القلم السيّال منذ نعومة أظفاره وشبابه.

أقول: إن أسلوب الكتاب أخّاذ، ويأسر القارئ، وما بدأت قراءة فكرة، أو أردت الرجوع إلى مسألة فيه، إلا وأجبرت كرهاً لمتابعة القراءة حتى أنسى نفسي، وأنسى أصل الهدف الذي قصدته، ولولا

---

(١) انظر ندرة المصادر (ص٣١٧) وما بعدها في ترجمة أبي حنيفة، وص٤١٨ في ترجمة الإمام مالك التي عرضها بإيجاز شديد لأنها ليست من صلب الموضوع.

(٢) تمت مناقشتها في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٤١م، ثم طبعت بمطبعة الأزهر سنة ١٩٤٧م، ثم توفي صاحبها في مطلع القرن الحادي والعشرين.

(٣) صفحة ٨٩ هـ٣ المحصول للرازي، ص٩٦ هـ١ تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع ص٥١٠.

(٥) المرجع السابق ص٥١٣.

(٦) السنة ومكانتها في التشريع، مقدمة الطبعة الثانية ص٨.

مخافة الإطالة، والاضطرار للاختصار، لنقلت النصوص المؤيدة، والساحرة، وينطبق ذلك على الجوانب العلمية المعمقة الدقيقة المعروضة المؤيدة بالأدلة والحجج والاختصار والإيجاز، وعلى القصص التي يرويها المؤلف رحمه الله في لقاء العلماء من مختلف الفئات والطوائف والمذاهب(١)، ويضطر القارئ أن يتابع الرواية والقصة، ويغذي قلبه وروحه بالنفس الطيب الطاهر، والوقائع المذكورة، وسرد الأفكار المطروحة.(٢)

كل ذلك مع عفة اللسان، ونقاء الكلمات، وحمل شرف العبارة، والموضوعية والأدب الرفيع، والإشارة الناعمة إلى المآخذ، حتى مع الخصوم وأعداء الإسلام كالمستشرقين(٣)، ومع المخالفين في الفكر والأدب والأسلوب من علماء المذاهب(٤)، ومع أصحاب الرأي المخالفين في السنة وحجيتها ومكانتها.(٥)

وكان التمهيد –مثلاً- من أمتع المباحث وأجملها، فيجمع في أسلوبه بين العقل والقلب والفكر والروح المتألقة والغيرة الصادقة والبحث العلمي المعمق، والمناقشة الهادئة، والحماس المعتدل والحوار الجاد والأمثلة الحية التي تكاد أن تنطق، مع الإقناع الحتمي لما يورده عن المستشرقين، وما يرد به رداً واضحاً جلياً على "ظلمات أبي رية".

إن طبيعة الموضوع تفرض المنهج المناسب له، وإن موضوع الكتاب يتناول السنة بشكل عام كما سبق في التوصيف، وما يتعلق بتدوينها، وعلومها، وتاريخها، واستعراض المطاعن والشبه التي وجهت لها، ومناقشتها، وردها، ثم الوصول إلى مكانتها في التشريع الإسلامي وحجيتها، واقتضى هذا من المؤلف رحمه الله تعالى أن يلتزم منهجاً علمياً رصيناً، دون أن يصرح به، أو يرسمه في مقدمته، لكن "توافر للمؤلف القدرة على البحث العلمي، وتتبع الأمور في مظانها" (٦)، "وبطريقة منهجية جامعة.. وروح علمية منصفة" (٧)، ويتجلى هذا المنهج بالخطوط التالية:

١- **المنهج التاريخي:** وذلك بالتتبع لأحداث التاريخ ومجرياته، وأقوال المؤرخين لأخبار الأمة والخلافة، وللعلم والعلماء، وللسنة وعلومها، فلزم المؤلف "التتبع التاريخي للأدوار التي مرت بها السنة، ووضع الإصبع على مكمن الداء في الماضي والحاضر، ومواقف العلماء التي ردّت الأمور إلى نصابها" (٨)، ومثاله الفصل الثالث من الباب الثاني عن السنة مع منكري حجيتها قديماً، حججهم والرد عليها (ص١٦٥-١٧٥) والفصل السادس عن السنة مع المستشرقين (ص٢١١-٢٣١) وعرضه لتاريخ الزهري والأمويين (ص٢٣٢) وترجمته لأبي هريرة (ص٣٥٣) وتراجم أئمة المذاهب الفقهية وأصحاب كتب الصحاح والسنة الستة (ص٤٣٥-٤٩٤).

٢- **المنهج النقدي:** جمع المؤلف رحمه الله تعالى ما ورد من شبه عن السنة وما ورد عليها من آراء لبعض المستشرقين والمستغربين قديماً وحديثاً، وبحث آراء المخالفين للسنة، والمتشككين فيها، ونقدها نقداً علمياً رزيناً، وفنّد حججهم، بتحليلها جزئياً، وبيان كل شبهة أو جزئية، وردها ردًّا محكماً، مُدْعماً بالدليل النقلي والعقلي، ومستعيناً بالنصوص الشرعية في الكتاب والسنة(٩)، ونصوص العلماء، والمؤرخين، وكشف الزيف والتحريف لكثير من نقول المستشرقين والمستغربين، وفضح مصادرهم، وبيّن وهنها وضعفها، وقيمتها العلمية أمام المصادر الأصلية

(١) انظر لقاءات المؤلف رحمه الله تعالى مع المستشرقين وحديثه معهم ص٢٦ وما بعدها.
(٢) انظر لقاء المؤلف رحمه الله تعالى مع الشيخ عبد المحسن شرف الدين ص٢٣.
(٣) انظر موقفه الرصين المثالي القدوة في سماعه أقوال أستاذه الدكتور علي حسن عبد القادر (ص٣٣ وما بعدها) الذي تبنى آراء المستشرق جولد زيهمر، وخاصة طعنه بالزهري، وكيف رجع المؤلف رحمه الله إلى المصادر فجمع المعلومات ثم عرضها على أستاذه فتراجع عن آرائه، ثم ألف كتابه المعتدل القويم "نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي" ثم انظر موقفه من الخوارج ص٩٩، ١٥٥.
(٤) انظر هذا المؤلف الهادئ الموضوعي المتسم بأرقى عبارات الأدب مع الشيخ محمود أبو رية (ص١٨) وعتابه الشديد له على أسلوبه البذيء وهجومه الساحق على العلماء (ص٥٨، ٦٠).
(٥) انظر مناقشته للشيعة والخوارج ص١٤٧.
(٦) من مقدمة الطبعة الثانية بقلم الأستاذ الدكتور محمد أديب صالح لكتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٧.
(٧) المرجع السابق ص٨.
(٨) المرجع السابق ص٨.
(٩) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني عن السنة مع منكري حجيتها حديثاً، وذكر الشبه والجواب عنها واحدة واحدة (ص١٧٦-١٨٩) والفصل الخامس عن السنة مع منكري حجية الآحاد وبيان الشبه والجواب عنها (ص١٩٠-١٩٤).

والكتب المعتمدة[١]، وأن ذلك لا يتفق مع المنهج العلمي الصحيح الذي يدّعيه المستشرقون ورواد الفكر الغربي، مع سقطاتهم وتزويرهم وجهلهم.

٣- **منهج المقارنة:** اعتمد العلامة السباعي رحمه الله تعالى على منهج المقارنة في الآراء بين المذاهب العقدية أحياناً، والمذاهب الفقهية أحياناً أخرى، فيمهد للفكرة، ويحلل عناصرها، ويبين نقاط الاتفاق فيها، ويحرر محل النزاع، ويعرض الأقوال، ثم الأدلة، ثم المناقشة، ثم الوصول إلى النتيجة والترجيح وإثبات الصحيح والأقوى، مع تعليله وتأييده بالأدلة النقلية والعقلية، ويظهر ذلك جلياً في الباب الثاني من الكتاب.

فمثال المقارنة بين المذاهب العقدية الفصل الأول عن السنة مع الشيعة والمعتزلة (ص١٤٧-١٥٤) والفصل الثاني عن السنة مع المعتزلة والمتكلمين (ص١٥٥-١٦٤).

ومثال المقارنة بين المذاهب الفقهية الفصل الثالث عن السنة مع منكري حجيتها قديماً والرد عليهم (ص١٦٥-١٧٥) والفصل الرابع عن السنة مع منكري حجيتها حديثاً (ص١٧٦-١٨٩).

ومثال المقارنة بين آراء علماء الأصول الباب الثالث في مرتبة السنة في التشريع الإسلامي (ص٤٠٩-٤٣٤) ويظهر منهج المقارنة بوضوح في الفصل الثالث في نسخ السنة بالقرآن، والقرآن بالسنة (ص٤٢٩-٤٣٣).

٤- **المنهج التحليلي:** يعرض العلامة السباعي رحمه الله تعالى للنصوص الشرعية في الكتاب والسنة ويحللها، ويبين مضمونها، ويصل إلى الإرشادات والأحكام المستخلصة منها.

كما يعرض نصوص العلماء، والمستشرقين، والمستغربين، حرفياً، وينقلها من كتبهم، ثم يحللها، فيبين المراد منها، وقد يشير إلى ما وراءها من خطط ونوايا تذرقرنها في النص، ثم يرد عليها، ويفند ما فيها.[٢]

كما يظهر من منهج العلامة السباعي رحمه الله تعالى ما يلي:

١. **تخريج الأحاديث بعزوها لمشهور كتب السنة**، فإن كان الحديث في صحيح البخاري أو صحيح مسلم، اكتفى بتصحيحهما، وأن كان في سائر كتب السنن أشار إلى درجته باختصار (ص٦٦هـ-١، ٢، ٣).
٢. **الخطة جيدة، واضحة، متسلسلة، مترابطة،** وترتيبها منطقي بالانتقال من المقدمات للنتائج، ومن التمهيد إلى الموضوع، ومن البحث المعمق لإثبات صحة السنة، والرد على الطاعنين فيها، إلى بيان مكانتها في التشريع الإسلامي وتأكيد حجيتها، ثم العرض لتراجم أئمة المذاهب الفقهية لشرح موقفهم من السنة، ثم الإشارة إلى كتب السنة الستة بإيجاز.
٣. **وضع عناوين جانبية جيدة،** تقسّم المبحث إلى جوانب رئيسة، وتساعد في التركيز على النقاط المهمة، وتقسّم الموضوع إلى فقرات واضحة.
٤. **كان ينقل الأخبار والروايات وما جاء في بعض المصادر بعقل ثاقب، وفكر وقاد،** وكان ينقد ما لا يقبله عقل (ص٩٨ س٦)، ويشكك أحياناً في بعض الأخبار وينقدها، فإن تبين له صحته فيما بعد استدرك ذلك في الطبعة اللاحقة، وتراجع عما قال (ص٨٩ هـ-٢) (ص٩٩ س٤ من أسفل) (كلام ابن مهدي) أو يؤيده ويوثقه ويشير إلى موطن الغرابة والاستهجان فيه (ص٢٣ هـ-١ كتاب عبد المحسن شرف الدين الشيعي عن أبي هريرة).
٥. **الموضوعية:** كان عرض السباعي رحمه الله تعالى موضوعياً، دون تعصب، فنقل ما ورد عن وضع الأحاديث من الرافضة، ثم قال: "وضارعهم الجهلة من أهل السنة" ثم قال: "وكذلك فعل المؤيدون للعباسيين" ثم دافع عن الخوارج وأنهم أقل الفرق الإسلامية كذباً، لأنهم يرون كفر مرتكب الكبيرة أو مرتكب الذنوب مطلقاً، فلا يستحلون الكذب، ثم قال: "ولكني رأيت الأدلة العلمية على عكس نسبة الوضع إلى الخوارج" (ص٩٨-١٠٠).

---

(١) انظر قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها محمود أبو رية في طعنه وتشكيكه لأبي هريرة (السُّنة ص٤٠٤-٤٠٦) وكيف تغافل تماماً عن موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم والسنن الأربعة ومسند أحمد ومدونات السنة المعتبرة، واعتمد كتاب الحيوان وكتب جرجي زيدان، ودائرة المعارف البريطانية، وكتب بروكلمان وفيليب حتي، وإدوارد جرجس، وجبرائيل جبور وإبراهيم لوقا وجولد تسهير وكيمر.

(٢) انظر: نقد العلامة السباعي لمنهج المستشرقين في البحث، وتحاملهم على الحضارة الإسلامية (ص٣٧) وكشفه لمصادر الشيخ محمود أبي رية، وتقليده للانحراف والشذوذ تاريخياً، وارتباطه بفكر المستشرقين حاضراً (ص١٧)، وانظر ما أورده السباعي من نص الدكتور علي حسن عبد القادر في اعتبار مالك ليس محدثاً، وأن الموطأ ليس كتاب حديث، والرد على شبهته وجوابها تفصيلاً (ص٤٧٤ وما بعدها) وخاصة عبارة "تقوى المتأخرين" والرد عليها (ص٤٧٧).

ثامناً : ملاحظات :

إن الكمال لله وحده، وإن هذا الكتاب القيّم المفيد الفريد لا يخلو من الملاحظات التي لا تقلل قيمته، ولا تغض من مكانته وشأنه، ولكنها تساعد على توجيهه للكمال، أهمها:

١- **جاء تخريج الحديث متواضعاً**، واكتفى بعزو الحديث لأحد كتب السنة، مع بيان الصحابي الراوي له، دون تحديد الجزء والصفحة والرقم، مثل (ص٦٧هـ ١، ٢، ٤، ٥) (ص٦٦ هـ١، ٢، ٣) ولعله التزم المنهج الذي كان متبعاً في مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

٢- **قلة المراجع في التوثيق**، فيكتفي مثلاً في الهامش الواحد بكتاب واحد في أصول الفقه كإرشاد الفحول، وهو في الدرجة الثانية من كتب الأصول (ص٦٦ هـ٤) أو يكتفي بكتاب الرسالة للشافعي (ص٦٨ هـ١) أو الموافقات فقط، أو طبقات ابن سعد فقط، أو جامع بيان العلم فقط، فالتوثيق بشكل عام متواضع وقليل، فهو يكتفي بمصدر واحد، ولكنه أصيل ومعتمد غالباً.

٣- **يكتفي أحياناً بعزو الحديث لأحد كتب السنة في الصلب** دون الإشارة له بالهامش (ص٧٧ س٦) (ص٨٠ س٥) (ص٨٥ رقم ١) (ص٩٠ ف٢).

ويفعل مثل ذلك بالنقل عن كتاب ويذكر عنوانه واسم مؤلفه في الصلب، وينقل عنه ثم لا يحدد الجزء والصفحة (ص٨٤ س٧).

٤- وردت **آثار بدون عزو نهائي لها** (ص٨٢- س١٠).

٥- إن البيانات الواردة عن المراجع المذكور في آخر الكتاب (ص٥١٠) **بيانات قليلة وناقصة ومختصرة**، ولكنها جاءت على نسق ومنهج التأليف في ذلك الوقت.

٦- وردت مراجع كثيرة في حواشي الكتاب، **ولم توضع في الفهرس الأخير**، ولكن نبه إليها المؤلف رحمه الله تعالى في آخر القائمة (ص٥١٣) بقوله: " ومراجع أخرى تعرف في حواشي الكتاب ".

٧- جاءت **الخاتمة** (ص٤٣٥-٤٩٤) على غير المتوقع عادة بتلخيص الآراء والنتائج التي وصل إليها البحث، بل جاءت الخاتمة عن مجرد ترجمة لأئمة المذاهب الأربعة (أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد) وترجمة أصحاب الكتب الستة في الحديث والسنة (البخاري، ومسلم، والنسائي وسننه، وأبي داود وسننه، والترمذي وجامعه، وابن ماجه وسننه).

وسوّغ العلامة السباعي رحمه الله تعالى (ص٤٣٣) ذلك بكلمة موجزة فقال: "ونحن نختم ذلك بخاتمة موجزة عن **موقف الأئمة الأربعة من السنة** وبيان مكانتهم فيها، مع ذكر تراجم موجزة لأصحاب الكتب الستة وفذلكة صغيرة عن كل كتاب" ولعله أراد أن يكون موقف الأئمة الأربعة من السنة هي النتيجة والخاتمة لبحثه، وأن تكون ترجمة أصحاب كتب السنة الستة والتعريف بكتبهم ثمرة عملية وتاريخية وعلمية لحال السنة ومكانتها عند المسلمين، وعدَّ ذلك خاتمة البحث، وخاصة أنه لم يترجم لأئمة المذاهب الفقهية ترجمة معهودة، بل عرض الجوانب العلمية لهم، وخاصة ما يتعلق بالسنة والحديث[١]، فعرض نبذة مختصرة عن الإمام مالك ثم انتقل البحث عن الموطأ، وكذا عن الشافعي ومسنده وسننه، وأحمد ومسنده.

٨- قال العلامة السباعي رحمه الله تعالى في ترجمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى (ص٤٣٧) "وأكثرهم بين المسلمين أتباعاً".

وهذا أمر مشكوك فيه، فليس أتباع أبي حنيفة هم الأكثر أتباعاً في العالم الإسلامي اليوم.

٩- قال العلامة السباعي رحمه الله تعالى عن مسند الشافعي، وسنن الشافعي، قال: "ويظهر أنه استخراج تلاميذه لا من تأليفه، كما هو الحال في مسانيد أبي حنيفة" (ص٤٨٠).

وهذه دعوى عريضة لم يقدم المؤلف رحمه الله دليلاً عليها، وتحتاج إلى دراسة وبحث وتقص ومتابعة لمعرفة صحتها.

١٠- عندما ترجم العلامة السباعي رحمه الله تعالى لأئمة الحديث فبدأ بالبخاري ثم بمسلم، وهذا لا نزاع فيه، ثم انتقل إلى أصحاب السنن، فبدأ بالنسائي (ص٤٨٩) ثم أبي داود، ثم الترمذي، مما يوحي بأن النسائي هو المقدم، مع أن جمهور العلماء يقدمون أبا داود، والترمذي على النسائي.

---

(١) انظر: في ترجمة الإمام أبي حنيفة – موقفه من الحديث وصلته بالسنة- (ص٤٤٨ وما بعدها) وفي ترجمة مالك بحثه عن الموطأ (ص٤٦٩) وفي ترجمة الإمام الشافعي بين دوره في الدفاع عن السنة (ص٤٧٩) وفي ترجمة الإمام أحمد عرض كتاب المسند (ص٤٨٢).

١١- جاءت تراجم أصحاب السنن (ص٤٨٦ وما بعدها) موجزة جداً ومختصرة، وكان التوثيق قليلاً جداً، وقد يعتمد على مرجعين (ص٤٨٩، ٤٩٢) وبدون مرجع نهائياً للترجمة (ص٤٩٠) ومرجع واحد (ص٤٩٣).

وبعد :

فإن هذا الكتاب قمة في أسلوبه وعرضه وموضوعه، وإن القارئ يحس بالنور الذي يشع منه، وبالروح الصادقة التي تقف خلفه، وبالإخلاص الكامل الذي يدفع كاتبه، وكل ذلك يقف خلف السر والسحر الذي يأسر قارئه في المتابعة، والتعلق، بل وزيادة القراءة، ومعاودة القراءة مرة بعد مرة.

جزى الله العلامة الداعية المجاهد الشيخ مصطفى السباعي خير الجزاء، وأجزل مثوبته، وغفر له، ونفع الله بعلمه وبارك الله في أولاده الذين يرعون آثاره وينشرونها، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بها، وأن يلهم الأمة العودة إلى دينها وشريعتها وعلمائها المخلصين، لتحظى بخيري الدنيا والآخرة، وليسطع الحق، وينتشر النور، وتتأكد الحقائق، ويومئذ يظفر المؤمنون بنصر الله تعالى، وتأييده في الدنيا، وينالون الرضا والقبول في الآخرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وختاماً لهذا البحث ألخص النتائج التي وصلت إليها، ثم أقدم بعض التوصيات والاقتراحات:

أولاً : نتائج البحث :

١- السنة: هي ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.
٢- السنة: هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية باتفاق العلماء.
٣- السنة: ضرورية وحتمية لفهم القرآن، وتطبيق الإسلام.
٤- حفظ الله تعالى السنة عن طريق العلماء والأئمة والدعاة والمفكرين.
٥- السنة قلعة صامدة، وصخرة عاتية في وجه أعداء الإسلام الذين أرادوا النيل منها والطعن بها، والتشكيك فيها، والعبث بمضامينها، فارتدت سهامهم خائبة.
٦- لا تزال السنة مطمعاً للأعداء، ومطمحاً للدس والعبث، ولذلك يجب الاستمرار في دراستها، وحفظها، وبيان مكانتها في الإسلام عامة، والتشريع خاصة.
٧- بذلت جهود جبارة في حفظ السنة، وبيان حجيتها، وتمثلت في كتب، وبحوث، ودراسات، وتتوج اليوم بمراكز للسنة، واستعانة بالحاسوب لحفظها.
٨- العلامة المجاهد الداعية مصطفى السباعي هو ناصر السنة في القرن الرابع عشر الهجري.
٩- إن كتاب **"السنة ومكانتها في التشريع"** أهم كتاب في موضوعه في هذا العصر.

ثانياً : التوصيات والمقترحات :

١- وجوب التركيز على أهمية السنة، ومكانتها في التشريع، في مختلف وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة في الصحف والمجلات، والمسموعة، وفي المساجد والمدارس، والكليات، والجامعات.
٢- نشر الكتب والدراسات التي تبين منزلة السنة، ومكانتها، وصحتها، وتدوينها، وحفظها، ووضعها في أيدي الناس.
٣- الاستمرار في متابعة الدسائس والمكر والمؤامرات التي تحاك عن السنة، وتشكك فيها، وتثير الشبه حولها.
٤- تصنيف كتيبات عن السنة بأسلوب مبسط، ومستوى متوسط، لعامة الناس، والمثقفين وغير المختصين.
٥- دعم الدراسات التي تتعلق بالسنة، وبذلك الأموال في رعايتها.
٦- دعم المراكز العلمية المخصصة للسنة النبوية، والعمل على نشر هذه المراكز في مختلف البلاد العربية والإسلامية.
٧- العمل على نشر كتب السنة بمختلف علومها، وعلى مستويات متعددة، لتكون في أيدي الجماهير، وعى رفوف المؤسسات، وأمام أعين صنّاع القرار.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعه، والحمد لله رب العالمين.

أهم مراجع البحث

١- الإحكام في أصول الأحكام، علي الآمدي (٦٣١هـ) مؤسسة الحلبي – القاهرة – ١٩٦٧م.
٢- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) مطبعة الإمام – مصر – د.ت.
٣- إرشاد الفحول، محمد علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) مصطفى البابي الحلبي – مصر- ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
٤- أصول الحديث، الدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر الحديث – لبنان – ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م.
٥- أصول الفقه، الشيخ الدكتور محمد أبو النور زهير، مطبعة دار التأليف، مصر – د. ت.
٦- أعلام الموقعين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) دار الكتب الحديثة – القاهرة – ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.
٧- تاريخ القضاء في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي – دار الفكر – دمشق – ط١- ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.
٨- تسهيل الوصول إلى علم الأصول، محمد عبد الرحمن عيد المحلاوي (١٩٢٠م) مصطفى البابي الحلبي – مصر – ١٣٤١ هـ.
٩- التصنيف في السنة النبوية في النصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري، الدكتور خلدون الأحدب / بحث في ندوة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.
١٠- التفسير المنير، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي – دار الفكر دمشق – ط١ – ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.
١١- جماع العلم، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) مطبوع على هامش الأم – دار الشعب - القاهرة – ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
١٢- الحدود في الأصول، أبو الوليد الباجي (٤٧٤ هـ) مؤسسة الزعبي – بيروت – ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣م.
١٣- الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط١- ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠م.
١٤- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي (١٩٦٤هـ) دار العروبة – القاهرة – ط ١ – ١٣٨٠ هـ /١٩٦٧ م + دار الوراق – دمشق ، دار النيرين – بيروت – ط٣ – ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.
١٥- شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي (٩٧٢ هـ)، مكتبة العبيكان – الرياض – ط ٣ – ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.
١٦- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (١٩٥٦م) مطبعة النصر – القاهرة – ١٩٤٧م.
١٧- المدخل إلى مذهب أحمد، عبد القادر بن بدران الحنبلي (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م) المطبعة المنيرية – مصر – د. ت.
١٨- المستصفى من أصول الفقه، محمد محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) المطبعة الأميرية – بولاق – مصر – ١٣٢٢ هـ.
١٩- مصطفى السباعي، الأستاذ الدكتورعدنان زرزور – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م.
٢٠- الموافقات في أصول الأحكام، الشاطبي (٧٩٠ هـ) مطبعة المدني – مصر - نشر مكتبة صبيح – د. ت.
٢١- الوجيز في أصول الفقه، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي – دار الخير – دمشق – ط١ – ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م .